

ملخص
السيرة النبوية

تأليف

المرحوم الشيخ محمد هارون

كبير مفتشي المحاكم الشرعية سابقًا

ترتيب وتهذيب

أبو الفضل محمد هارون

سكرتير إدارة التحقيق بوزارة المعارف سابقًا

الطبعة السابعة

يطلب من







نسب النبى ﷺ من جهة أبيه وأمه

هو سيدنا ونبينا محمـد، خاتم الأنبياء والمرسلين، بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصى، بن حكيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر، بن مـالك، بن النضـر، بن كنانة، بن خـزيمة، بن مـدركـة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

هذا هو النسب المتـفق على صحتـه، كما اتفـقوا على أن النسب المحمـدى الشريف، يتصل بسيـدنا إسماعيل بن سـيدنا إبراهيم عليـهمـا الصـلاة والسلام. ولكـن سلسلة النسب بين عدنان وسيدنا إسماعيـل عليه السلام لم يثبت علمها من طريق صحيح.

وأمه ﷺ : هى آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن حكيم، الذى هو الجد الخامس للنبى ﷺ من جهة أبيه . فأبوه وأمه ﷺ من أصل واحد . يجتمعان فى حكيم بن مرة.

ومن جدودهما: فهر الذى هو قريش، التى تنسب إليه الأمم القرشية المشهود لها بالشرف ورفعة الشأن بين العرب.

وكل اجتماع بين آبائه وزوجاتهم كان شرعيًا، بحسب الأصول العربية، فلم يكن فى نسبه الشريف شىء من سفاح الجاهلية، فهو نسب شريف طاهر من آباء طاهرين، وأمهات طاهرات، والحمد لله رب العالمين.

مولده ﷺ
وزمن ولادته ومكانها ووفاة والده ﷺ

تزوج عبد الله - والد النبى ﷺ - آمنة بنت وهب، وعمره ثمانى عشرة سنة، وهى يؤمئذ من أفضل نساء قريش نسبًا وأكرمهم خلقًا، ولما دخل بها حملت برسول الله ﷺ ،

وسافر والده عبد الله عقب ذلك بتجارة له إلى الشام، فأدركته الوفاة بالمدينة (يثرب) وهو راجع من الشام، ودفن عند أخوال بنى عدى بن النجار، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه آمنة به ﷺ.

ولما تمت فترة الحمل، ولدته ﷺ - بمكة المشرفة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، الذى يوافق سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وهو العام الذى أغار فيه ملك الحبشة على مكة، بجيش تتقدمه الفيلة.

وكانت ولادته ﷺ فى در عمه أبى طالب، فى شعب بنى هاشم، وسماه جده عبد المطل (محمدًا) فوافق ذلك ما جاء فى التوراة من البشارة بالنبى، الذى يأتى من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام. مسمى بهذا الاسم الشريف.

كما جاءت البشارة به ﷺ على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه (أحمد).

وكانت قابلته ﷺ الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وحاضنته: أم أيمن بركة الحبشية، أمة أبيه عبد الله.

رضاعته ﷺ وما حصل في زمن الرضاع

أرضعته ﷺ أمه عقب الولادة، ثم أرضعته ثويبة. أمة عمه أبي لهب أيامًا، ثم جاء إلى مكة نسوة من البادية يطلبن أطفالاً يرضعنهم ابتغاء المعروف من آباء الرضعاء على حسب عادة أشراف العرب، فإنهم كانوا يدفعون بأولادهم إلى نساء البادية يرضعنهم هناك، حتى يتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة، فاختيرت لإرضاعه ﷺ من بين هؤلاء النسوة «حليمة» بنت أبي ذؤيب السعدية، فأخذته معها بعد أن استشارت زوجها «أبا كبشة» الذي رجا أن يجعل الله لهم فيه بركة، فحقق الله تعالى رجاءه، وبدل عسرهم يسرًا؛ فدر ثديها عد أن كان لبنها لا يكفي ولدها، ودرت ناقتهم حتى أشبعتهم جميعًا، بعد أن كانت لا تغنيهم، وبعد أن وصلوا به إلى أرضهم، كانت غنمهم تأتيهم شباعًا غزيرة اللبن، مع أن

أرضهم كانت مجدبة فى تلك السنة، واستمروا فى خير وبركة مدة وجوده ﷺ بينهم، ولما كمل له سنتان، فصلته حليمة من الرضاع، ثم أتت به إلى جده وأمه وكلمتهما فى رجوعها به وإبقائه عندها فأذنا لها بذلك.

حادثة شق صدره ﷺ ورجوعه لأمه

بعد عودة حليمة السعدية به ﷺ من مكة إلى ديار بنى سعد بأشهر، بعث الله تعالى ملكين لشق صدره الشريف وتطهيره، فوجداه ﷺ مع أخيه من الرضاع خلف البيوت، فأضجعاه وشقا صدره الشريف، وطهراه من حظ الشيطان، ثم أطبقاه. فذهب ذلك الأخ إلى أمه حليمة وأبلغها الخبر، فخرجت إليه هى وزوجها، فوجداه ﷺ ممتقع اللون من آثار الروع، فالتزمته حليمة والتزمه زوجها، حتى ذهب عنه الروع، فقص عليهما القصة كما أخبرهما أخوه، وقد أحدثت هذه الحادثة عند حليمة وزوجها خوفًا عليه، ومما زادها خوفًا أن

جماعة من نصارى الحبش، كانوا رأوه معها فطلبوه منها، ليذهبوا به إلى ملكهم؛ فخشيت عليه من بقائه عندها، فعادت به ﷺ إلى أمه، وأخبرتها الخبر، وتركته عندها، مع ما كانت عليه من الحرص على بقائه معها.

وفاة أمه ﷺ وكفالة جده ثم عمه له

بعد أن عادت حليمة السعدية به ﷺ إلى أمه، وكان إذ ذاك فى السنة الرابعة من عمره الشريف، بقى مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم بمكة فى حفظ الله تعالى ينبته الله نباتًا حسنًا، ثم سافرت به أمه ﷺ إلى المدينة المنورة لزيارة أخواله هناك من بنى عدى بن النجار، فتوفيت وهى راجعة به من المدينة، إلى مكة بجهة «الأبواء» بالقرب من المدينة ودفنت هناك، فقدمت به إلى مكة حاضنته أم أيمن، وقد بلغ من العمر يومئذ ست سنين، ولما وصلت به إلى مكة كفله جده عبد المطلب بن هاشم، وحن إليه حنانًا زائدًا وعطف عليه عطفًا

بليغًا، حتى توفى جده عبد المطلب وعمر رسول الله ﷺ ثمان سنين.

وكان عبد المطلب يوصى به عمه أبا طالب، الذى هو الأخ الشقيق لأبيه، فلما مات عبد المطلب، كان ﷺ فى كفالة عمه أبى طالب يشب على محاسن الأخلاق، متباعدًا من صغائر الأمور، التى يشتغل بها الصبيان عادة.

سفره ﷺ مع عمه أبى طالب إلى الشام

لما أراد أبو طالب أن يسافر إلى الشام فى تجارة له، رغب رسول الله ﷺ أن يرافقه، فأخذه معه. وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، ولما وصلوا «بصرى» وهى أول بلاد الشام من جهة بلاد العرب، قابلهم بها راهب من رهبان النصارى اسمه «بحيرا» كان يقيم فى صومعة له هناك، فسألهم عن ظهور نبى من العرب فى هذا الزمن، ثم لما أمعن النظر فى النبى ﷺ وحادثه عرف أنه النبى العربى، الذى بشر به موسى وعيسى

عليهما السلام وقال لعمه: إنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم، فارجع به واحذر عليه من اليهود، فلم يمكث أبو طالب فى رحلته هذه طويلاً. بل عاد به إلى مكة حين فرغ من تجارته، وبقى ﷺ فى مكة مثال الكمال، محفوظًا من معايب أخلاق الجاهلية، شهمًا شجاعًا، حتى أنه حضر مع عمه حرب «الفجار»[١]، وحلف الفضول[٢] وسنه إذ ذاك عشرون سنة.

رحلته ﷺ إلى الشام مرة ثانية فى تجارة لخديجة بنت خويلد

كان طريق الكسب فى قريش التجارة، وكانت خديجة بنت خويلد من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى، سيدة ذات

(١) هى حرب كانت بين قبيلة كنانة ومعها حليفتها قريش، وبين قيس، وقد ابتدأت هذه الحروب فيما بين مكة والطائف، ووصلت إلى الكعبة، فاستحلت حرمات هذا البيت الذى كان مقدسًا عند العرب، ولذلك سميت حرب الفجار.

(٢) حلف الفضول: كان عقب هذه الحرب، وهو تعاقد بطون قريش على أن ينصروا كل من يجدونه مظلومًا بمكة سواء أكان من أهلها أو من غير أهلها.

مـال، تتـاجـر فى مالهـا بطريـق المضاربـة مع من تثق به من الرجال، فلمـا سمعت بأمـانة رسول الله ﷺ وصدقـه حتى اشتهـر بين قومه باسم (الأمين) بعثت إليـه وعرضت عليه أن يسافـر بمال لها إلى الـشام، وتعطيه مـن الربح أكثر مما كانت تعطى غيـره، فقبل ذلـك رسول الله ﷺ، وسافـر بمالها مع غلامها ميسرة فباع واشترى، وعاد بربح عظيم.

وقد شاهد مـيسرة فى هذه الرحلة كثـيرًا من بركات النبى ﷺ وإكرام الله تعالى له، فـإنه ﷺ لما قدم الشام، نزل فى ظل شجرة قـريبًا من صومعة راهب هـناك، فقال هذا الراهب لميسرة: إنه ما نزل تحت هذه الشجـرة قط إلا نبى، وكان ميسرة يشاهد رسول الله ﷺ مظللاً من حر الشمس وهو يسير على بعيره بدون أن تكون معه مظلة.

زواجه ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد

لما قدم ميسرة إلى سيـدته خديجة، وأخبرها بما شاهد من بركات النبى ﷺ وإكرام الله تعالى له. بعثت إلى رسول الله

ﷺ فقالت له: يا ابن عم إنى رغبت فيك لقرابتك وأمانتك، وصدق حديثك، وكانت خديجة مرغوبًا فيها لشرف نسبها ورفعة قدرها بين قومها، فعرض النبى ﷺ الأمر إلى أعمامه، فوافقوا على زواجه ﷺ بها وتوجهوا معه إليها وأتموا عقد الزواج بينهما وتولاه عنها عمها عمرو بن أسد، كما تولاه عن النبى ﷺ عمه أبو طالب وكان صداقها عشرين بكرة، وكان سن السيدة خديجة أربعين سنة، وسنه ﷺ خمسًا وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها النبى ﷺ حتى توفيت رضى الله عنه، وذلك قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، وقد جاء منها بأولاده كلهم - ما عدا إبراهيم، وأولهم القاسم، وبه كان يكنى رسول الله ﷺ، وتليه زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم عبد الله الملقب بالطيب وبالطاهر. وكانت متزوجة قبله ﷺ برجل اسمه أبو هالة، ولدت منه ولدًا اسمه هنه، فكان ربيب رسول الله ﷺ.

بقية أزواجه ﷺ وأعمامه وعماته

بعد وفاة السيدة خديجة بأيام، تزوج ﷺ السيدة سودة بنت زعمة العامرية القرشية[1]، ثم تزوج بالسيدة عائشة[2] بنت سيدنا أبى بكر االصديق رضى الله عنهما، وهى بكرة صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها، وبنى بها وهى بنت تسع سنين. وكانت أحب نسائه إليه، ثم تزوج بالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، وتوفيت بعد بنائه بها بشهرين، ثم تزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية. ثم تزوج بالسيدة زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة، ثم تزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث من بنى

---

(١) قد كانت من السابقين إلى الإيمان، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فى المرة الثانية. وعقب رجوعه توفى عنها. فتزوجها النبى ﷺ. وهى التى وهبت يومها لعائشة.

(٢) وكانت أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق وكان أكابر الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها، وما نزل الوحى على النبى ﷺ فى فراش امرأة غيرها.

المصطلق[1]. ثم تزوج بالسيدة صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير، ثم تزوج بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهى آخر من تزوج بهن.

وقد توفى ﷺ عن تسعة من نسائه وهن: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

وأول من توفى بعده منهن: زينب بنت جحش، وآخرهن أم سلمة، وقد تسرى ﷺ بأربع إماء، منهن مارية القبطية، وهى أم ولده إبراهيم الذى توفى قبل الفطام فى السنة العاشرة من الهجرة.

وكان أعمامه ﷺ أحد عشر، لم يسلم منهم سوى

(١) وكانت من سبايا بنى المصطلق فتزوجها ﷺ بعد ان اعتقها ليقتدى به المسلمون، فأعتقوا من كان بأيديهم من نساء بنى المصطلق إكرامًا لمصاهرة رسول الله ﷺ لهم، فأسلم بنو المصطلق جميعًا فكانت جويرية أيمن مراة على قومها.

سيدنا حمزة، وسيدنا العباس، وهو أصغرهم، ولم يكن منهم شقيق لوالد رسول الله ﷺ سوى أبى طالب، والزبير.

وعماته ست، لم يسلم منهن سوى السيدة صفية والدة سيدنا الزبير بن العوام.

وكانت له ﷺ موال كثيرون، ذكور وإناث، أعتق أكثرهم، منهم زيد بن حارثة، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت سيدنا أسامة بن زيد رضى الله عنه.

وقد تشرف بخدمته ﷺ كثيرون، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وأبو ذر الغفارى.

وكان من كتابه ﷺ أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلى. ومعاوية. والزبير، وعمرو بن العاص، وكثير غيرهم، كانوا يكتبون الوحى والعهود، وكتبه ﷺ إلى الملوك والأمراء.

شهوده ﷺ بناء الكعبة

الكعبة هى أول بيت وضع فى الأرض للعبادة، وقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام، ثم جدد بناؤها من بعده ثلاث مرات، وكان بناؤها من الصخر وارتفاعها فوق القامة.

وعندما بلغ سن النبى ﷺ خمسًا وثلاثون سنة، اتفق أن نزل سيل عظيم بمكة، أثر فى جدران الكعبة فأوهنها ـ على ما كانت عليه من الضعف بسبب حريق أصابها من قبل، فاجتمعت قبائل قريش وشرعوا فى هدمها وبنائها وكان الأشراف يتسابقون منهم فى نقل الحجارة وحملها على أعناقهم، فكان رسول الله ﷺ يحمل الحجارة وينقلها إلى مكان البناء مع عمه العباس رضى الله عنه.

ولما تم بناء الكعبة[1]، وأرادت قريش وضع الحجر الأسود فى موضعه اختلف أشرافهم فيمن يضعه، وظلوا مختلفين أربعة

(١) بارتفاع ثمان عشر ذراعًا، بحيث يزيد عن أصله تسعة أذرع، وقد رفع الباب بحيث لا يصعد إليه إلا بدرج.

أيام، فأشار عليهم أبو أمية الولـيد بن المغيرة، وهو أكبرهم سنًا بأن يحكموا بينهم من يرضون بحكمـه، فاتفقوا على أن يكون الحكم لأول قـادم من باب الصفـا[1]. فكـان أول داخل هـو رسول الله ﷺ ، فـارتاحوا جمـيعًا لما يـعهدونه من أمـانته. وحكمـتـه، وصدقـه، وإخـلاصـه للحق وقـالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محـمد، فلما وصل إليهم وأخبـروه الخبر، بسط رداءه وتناول الحجر فـوضعه فيـه بيده ثم قال لتأخذ كـل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا حتى وصلوا به إلى موضعه. فوضعـه فيه بيده ﷺ ، وبذلك انتهت هذه المشكلة التى كادت تؤدى إلى الحرب والقتل فيما بينهم.

(١) أى من الجـهة التى كـان موضعـها ـ بعـد بناء المسجـد ـ باب الصفـا من أبواب المسجد الحرام، فإن المسجد لم يكن قد بنى وقتئذ، وكانت البيوت محيطة برحاب الكعبة، إلى أن بناه سـيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بعـد أن أزال البيوت لتوسعه مكانه ثم جدد بعد ذلك ووسع فيه حتى صار إلى ما هو عليه الآن.

معيشته ﷺ قبل البعثة

ولد - ﷺ - يتيمًا، ولم يترك له والده مالاً. فبعد أن رجع إلى مكة من منازل بنى سعد التى كانت موضع رضاعته، كان فى كفالة جده عبد المطلب، ثم فى كفالة عمه أبى طالب. ولما بلغ سنًا يمكنه أن يعمل عملاً، كان فى بعض الأحيان يرعى الغنم لأهلها، بأجر ينفق منه على نفسه، ثم كان يعمل فى التجارة، وكان أكثر ذلك فى مال السيدة خديجة رضى الله عنها.

فكانت معيشته ﷺ - منذ قدر على الكسب - من عمل يده مكتفيًا بالكفاف، ومقتصرًا من الدنيا على قدر الحاجة. وهكذا حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. لم يشغلهم الله تعالى بأمر الدنيا إلا على قدر الحاجة. ليتفرغوا لما أراده الله تعالى منهم من إرشاد الخلق إلى طرق السعادة فى دار البقاء والخلود.

وقد نشأ ﷺ من مهد طفولتـه كاملاً. حفظه الله تعالى فى صغره من معايب الأخلاق[١]. إلى أن بلغ مبلغ الرجال. فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهـم خلقًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة حتى كان يسمى فـيما بين قومه (الأمين) وشهد له بذلك العدو والصديق.

وقد حفظه الله تعالى منذ نشأته من قبيح أحوال الجاهلية، وبغض إليه أوثانهم، حـتى أنه من صغره ما كـان يحلف بها، ولا يحترمها، ولا يحضـر لهـا عيدًا أو احتفالا، وكان لا يأكل مـا ذبح علـى النصب[٢]، ولا يشرب الخـمر مع شيـوعه فى قومه.

---

(١) وورد عنه ﷺ فى حـديث له عمـا كان الله تعـالى يحـفظه به فى صغـره من معايب الأخلاق، أنه كان فى غلمان من قريش ينقلون الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمـان، فكان كل واحد منهم يجـعل إزاره على رقبتـه ليحـمل عليه الحـجارة فيـتعرى فجـاء من أرشده إلى شد إزاره؛ فكان يحـمل الحجارة على رقبـته بدون حائل، وإزاره يستره من بين أصحابه ﷺ.

(٢) النصب بضمتين: حجارة كانوا ينصبونها ويصبون عليها دم الذبائح ويعبدونها.

وحفظه الله تعالى من النقائص والأدناس قبل النبوة، كما عصمه بعد النبوة.

شيء مما أكرمه الله تعالى به قبل البعثة

وقد أكرم الله آل حليمة السعدية التى أرضعته ﷺ، فبدل عسرهم يسرًا. وأشبع غنيماتهم، وأدر دروعها فى سنة الجدب والشدة. كما بارك سبحانه وتعالى فى رزق عمه أبى طالب حينما كان فى كفالته مع ضيق ذات يده، كما كان سبحانه وتعالى يسخر له الغمامة تظله - وحده - من حر الشمس فى سفره إلى الشام فتسير معه أنى سار؛ دون غيره من أفراد القافلة.

وكان سبحانه وتعالى يلهمه الحق، ويرشده إلى المكارم والفضائل فى أموره كلها، حتى أنه كان إذا خرج لقضاء حاجة فى سفره، بعد عن الناس حتى لا يرى.

وقد كان علماء اليهود والنصارى - رهبانهم وكهنتهم - يعرفون زمن مجيئه ﷺ ، مما جاء من أوصافه فى التوراة، وما أخبر به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فكانوا يسألون عن مولده وظهوره قد عرفه كثيرون منهم. لما رأوا ذاته الشريفة، أو سمعوا بأوصافه وأحوال ﷺ .

تعبده ﷺ قبل البعثة

كان ﷺ قبل نبوته: يتتبع ما يثبت عنده وما يرشده الله تعالى إليه من شرائع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما شريعة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيتعبد بذلك، ولم تثبت بالأحاديث الصحيحة كيفية تعبده ﷺ ، والذى ثبت أنه ﷺ كان يختلى فى غار حراء من كل سنة شهرًا، وكان يوافق ذلك شهر رمضان يعبد الله تعالى بالفكر، ويطعم المساكين مما كان يتزود به فى مدة خلوته.

وكان إذا انتهى من خلوته، ينصـرف إلى الكعبة، فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك، قبل أن يرجع إلى بيته.

وكان يحب العزلة والخلوة من زمن طفـولته، إلى أن بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

بدء الوحى وفترته وعودته
كيفية الوحى وطرقه ومبدؤه
وتاريخ النبوة، والبعثة المحمدية

الوحى: هو ما يلقى إلى الأنبـياء من عند الله تعالى. وله طرق ومراتب منها الرؤيا الصادقة: فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبيل الوحى، ومنها: أن يلقى الملك فى روع النبى وقلبه. ما يوحى به الله إليه. من غير أن يرى له صورة.

ومنهـا أن يأتى الملك إلى النبى مـتـمثـلاً بصـورة رجل، فيخاطب النبى حتى يأخذ عنه ما يقول له ويوحى به إليه، وفى هذه الحالة لا مانع من أن يراه الناس أيضًا.

ومنها أن يأتى الملك فى صورتـه الأصلية، التى خلقه الله تعالى عـليها ويراه النبـى كذلك، فيـوحى إليه مـا شاء الله أن يوحيه.

وأحـيانًا يأتى الملك مـخاطـبًا النبى بصـوت وكلام مـثل صلصلة الجرس[1].

وهذه الحالة أشد أحوال الوحى على النبى، فـقد كان نبينا ﷺ عندمـا يأتيه الوحى بهـذه الكيفـية. يعـرق حتى يسـيل العرق من جبينه فى اليـوم الشديد البرد، وإذا أتاه وهو راكب، بركت به ناقته.

وقـد يكون الوحى بكلام الله تعـالى للنبى، بدون واسطة الملك. بل من وراء حجاب، كما حصل لنبينا ﷺ .

وأول ما بدئ به سيدنا محمد ﷺ ، من الوحى. الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا، إلا حصلت فى اليقظة كما رآها.

(١) أى صوته.

وذلك عندما كمل سنه أربعين سنة، وهو سن الكمال، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، الذى كان فيه مولده ﷺ .

فلما أراد الله عز وجل إرساله إلى الخلق، أرسل إليه سيد ملائكته الأمين «جبريل» عليه السلام. فجاءه متمثلاً بصورة رجل، وهو فى خلوته بغار حراء. وكان ذلك فى شهر رمضان من تلك السنة. ففاجأه بقوله:

اقرأ؟ فقال: ما أنا بقارئ. لأنه ﷺ كان أميًا. لم يتعلم القراءة - فغطه جبريل عليه السلام فى فراشه غطًا شديدًا[1]، ثم أرسله فقال: اقرأ؟ فقال: ما أنا بقارئ - ثم غطه وأرسله فقال: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾** سورة العلق: ١ - ٥ فقرأها النبى ﷺ وانصرف عنه جبريل.

(١) أى ضمه وعصره بشدة.

فانصرف النبى ﷺ إلى أهله يرجف فؤاده مما أدركه من الروع، وقال «زملونى[1]» فلما ذهب عنه الروع؛ أخبر زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ بما كان، فقالت له «أبشر يا بن عم واثبت، فإنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة» ثم ذهبت معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخًا كبيرًا يعرف الإنجيل وأخبار الرسل. فأخبره النبى ﷺ بما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على موسى.

وبعد ذلك فتر الوحى وانقطع مدة تقدر بسنتين ونصف سنة، اشتد فيها شوق النبى ﷺ إلى الوحى، وشق عليه تأخره عنه، فبينما هو ﷺ يمشى فى أفنية مكة. إذ سمع صوتًا من السماء، فرفع بصره، فإذا الملك الذى جاءه بغار حراء وهو جبريل عليه السلام، فعاد إليه الرعب الذى لحقه فى بدء الوحى، وعاء إلى أهله. وقال «دثرونى دثرونى» فأوحى الله له تعالى **﴿يأيها المدثر* قم فأنذر* وربك فكبر* وثيابك**

(١) أى اطرحوا على الغطاء ولفونى به.

فطهر * والرجز فاهجر* ولا تمنن تستكثر* ولربك فاصبر﴾ سورة المدثر: ١ ـ ٧ فكان ذلك مبدأ الأمر له ﷺ بالدعوة إلى الإسلام. وبعد ذلك تتابع الوحى ولم ينقطع. حتى أكمل الله تعالى دينه. وأتم نعمته.

ومما سبق يظهر أن نبوته ﷺ، سابقة على رسالته.

الدعوة إلى الإسلام سرًا

عندما نزل الوحى على سيدنا محمد ﷺ لم يؤمر بتبليغ الرسالة للناس، بل كان الأمر فى ذلك قاصرًا على إبلاغه رسالة ربه إليه، وتمجيده جل وعلا بما جاء فى أوائل سورة (اقرأ باسم ربك)، وبعد أن فتر الوحى، دعا بأمر الله تعالى له بأنه يقوم بتبليغ رسالة ربه.

ولما كان أهل مكة ـ الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ـ قومًا جفاة، متخلقين بأخلاق تغلب عليهم العزة والأنفة، وفيهم سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام. التى كانت

مقدسة عند سائر العرب يعبدونها ويتقربون إليها بالذبائح والهدايا، ولا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ ولا ينقادون إليه بسهولة، كان من حكمة الله تعالى تلقاء ذلك. أن تكون الدعوة إلى دين الإسلام فى مبدأ أمرها سرية، لئلا يفاجئوا بما يهيجهم وينفرون منه ويكون سببًا لشن الغارات والحروب وإراقة الدماء.

والداعى - صلوات الله عليه وسلامه - لم يكن له إذ ذاك ناصر ولا معين من خلق الله، ومن سنة الله تعالى فى خلقه ربط الأسباب بالمسببات، فلم يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهر بالدعوة من قبل أن يهيئ له أسباب النصر والفوز على من يقاومه فى ذلك، خصوصًا أن قومه الذين بعث فيما بينهم كانوا أشد الناس تمسكًا بمعبوداتهم، وحرصًا على ما كان عليه آباؤهم.

ومن الناس من هو عظيم فى قومه، رفيع الدرجة فيما بينهم، ومنهم من هو دون ذلك، فالعظماء من الناس تمنعهم أنفتهم من إجابة الداعى إلى مفارقة ما عليه جماعتهم، ونبذ ما

بينهم من الروابط القومية، والعادات المتأصلة، إذ كل فرد منهم يرى أن انفراده بالرضوخ للصغير ينقصه فى نظر قومه، فإذا فوجئ هؤلاء الأعاظم بإعلان الدعوة إلى غير ما كانوا عليه، ظهروا بمظهر المنكر المعاند، وقاوموا الدعوة بجملتهم.

وغير العظماء تبع للعظماء والرؤساء فإذا دعوا إلى مخالفة ما عليه أولئك العظماء جهاراً لم يجسروا على إجابة الداعى، متى لم يسبقهم إلى ذلك أفراد من العظماء.

فإعلان الدعوة يحتاج إلى مقدمة يستأنس بها الفريقان، وما ذلك إلا باجتذاب أفراد من هؤلاء وهؤلاء خفية، حتى إذا تكونت منهم جماعة وأعلنت بهم الدعوة؛ سهل على غيرهم أن ينبذوا تقاليد قومهم ويتبعوا ما يدعوهم إليه الداعى مما تنشرح لهم صدورهم ولا تأباه فطرتهم.

وقد ابتدأ رسول الله ﷺ هذه الدعوة الإفرادية فيمن يعرفهم ويعرفونه ويطمئن إليهم، ويثق بهم، ويتوسم فيهم الخير وحب الحق من أهله وعشيرته، فبادر إلى التصديق والإيمان به أفراد قليلون، كانو يخفون إسلامهم عمن عداهم.

ويقيمون صلاتهم، وما أمروا به من العبادات خفية لا يظهرون بذلك فى مجامع قريش، بل ربما كان الواحد منهم يختفى لعبادته عن أهله وولده، وكانوا يجتمعون بالنبى ﷺ وحدانا وجماعات مع الاختفاء والتحشى عن الظهور، ولما بلغوا عددًا يربو على الثلاثين، اختار لهم النبى ﷺ دارًا فسيحة من دورهم يجتمعون فيها معه؛ لإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم.

وكان أول من بادر إلى الإسلام: خديجة بنت خويلد زوجته ﷺ، وابن عمه على بن أبى طالب وعمره إذ ذاك عشر سنين. وكان مقيمًا عند رسول الله ﷺ. وزيد بن حارثة الذى كن مملوكًا للسيدة خديجة ووهبته للنبى ﷺ. وأعتقه وتبناه، وزوجه مولاته وحاضنته أم أيمن، وقد كانت أيضًا من السابقين إلى الإسلام.

وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وكان صديقا للنبى ﷺ قبل النبوة، يعرف صدقه. فعندما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال «بأبى أنت وأمى! أهل الصدق أنت، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله»، وقال النبى ﷺ فى

حقه «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام، إلا كانت له كبوة، غير أبى بكر» وكان ـ رضى الله عنه ـ عظيـمًا فى قومه، يثـقون برأيه، فدعا إلى الإسـلام من توسم فيهم الإجابة، فأجابه عـثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العـوام، وطلحـة بن عـبـيـد الله، وأتى بهم النبى ﷺ فأسلمـوا، ثم أسلم أبو عبـيدة عامـر بن الجراح، وعبـيدة بن الحارث بن عـبد المطلب وسعـيد بن زيد العـدوى، وأبو سلمة المخزومى، وخالد بن سعيد بن الـعاص، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعـبيد الله، والأرقم بن أبى الأرقم، وكل هؤلاء من بطون قريش.

ومن غيرهم: صهـيب الرومى، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم.

وقد استمرت هذه الدعـوة السرية ثلاث سنين، أسلم فيها جماعـة لها شأن فى قريش، وتبـعهم غيرهم. حتى فـشا ذكر الإسلام وتحدث به الناس فجاء وقت الجهر بالدعوة.

الجهر بالدعوة

بعد أن مضى على الإسرار بالدعوة ثلاث سنين، كثر دخول الناس فى دين الإسلام من أشراف القوم ومواليهم رجالهم ونسائهم، ففشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهر بالدعوة وأنزل عليه ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (سورة الحجر ٩٤) فبادر بامتثال أمر ربه، وأعلن لقومه الدعوة إلى دين الله تعالى وصعد على الصفا، ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا قال لهم «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟» قالوا: نعم! ما جربنا عليك كذبًا فقال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»، ثم أنزل الله تعالى على رسوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (سورة الشعراء ٢١٤) فجمع من بنى عبد مناف نحو الأربعين، وقال لهم «ما أعلم إنسانًا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، وقد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه، والله لو كذبت الناس جميعًا ما

كذبتكم، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة».

واستمر رسول الله ﷺ فى إعلان الدعوة إلى الله وتوحيده، حتى ظهر لقومه أن هذه الدعوة فيها عيب معبوداتهم الباطلة، وتسفيه عقول من يعبدونها، فنفروا منه وأظهروا له العداوة، فذهب جماعة منهم إلى عمه أبى طالب وطلبوا منه أن يمنعه عن عيب آلهتهم، وتضليل آبائهم، وتسفيه عقولهم، أو يتنازل عن حمايته. فردهم أبو طالب ردًا جميلاً واستمر رسول الله ﷺ ، يصدع بأمر الله تعالى، وينشر دعوته ويحذر الناس من عبادة الأوثان، ولما لم يطيقوا الصبر على هذا الحال، عادوا إلى أبى طالب وطلبوا منه أن يكفه، أو ينازلوه وإياه فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فعظم الأمر على أبى طالب، وكلم رسول الله ﷺ فى ذلك فقال له النبى ﷺ ، «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت، حتى يظهره الله أو أهلك دونه» فقال أبو طالب: اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدًا.

ولما رأت قريش تصميم أبى طالب على نصرة رسول ﷺ واتفاق بنى هشام، وبنى عبد المطلب معه فى ذلك، وكان وقت الحج قد قرب وخافوا من دعوته فى أنفس العرب الوافدين لزيارة الكعبة اجتمعوا وتداولوا فيما يصنعون فى مقاومة ذلك.

ثم اتفقوا على أن يذيعوا بين الوافدين إلى مكة من العرب، أنه ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه. وبين المرء وعشيرته!! وصاروا يجلسون بالطرق، حين جاء موسم الحج، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره، ولكن الله تعالى أراد أن يكون ذلك سببًا فى شيوع دعوته ﷺ، فى بلاد العرب كلها.

ولما رأت قريش أنهم لم يفلحوا فى إرجاع أبى طالب عن نصرة رسول الله ﷺ وحمايته. وأنه قد انضم إليه فى ذلك غيره وأن دعوة رسول الله فى انتشار، وأن المؤمنين به فى

ازدياد، لجأوا إلى طريقة الأذى، فأغروا سفاءهم أن يتظاهروا بالاستهزاء برسول الله وإيذائه. خصوصًا إذا ذهب إلى الصلاة. وكان أبو جهل يحاول منع رسول الله ﷺ من الصلاة عند الكعبة. وقد أراد مرة أن يرص رأسه ﷺ وهو ساجد، لكن الله تعالى حفظه منه. فإنه لما قرب منه خانته قواه، وسقط من يده الحجر الذى أعده لذلك ورجع إلى قومه مذعورًا ممتقع اللون، وهو يقول: إنه قد تعرض لى فحل ما رأيت مثله قط! هم بى ليأكلنى، وقد تمثل جبريل عليه السلام بهذه الصورة حفظًا لرسول الله ﷺ.

وتمادى ذلك الفاجر هو وأعوانه ومنهم عقبة بن أبى معيط فى التعرض لرسول الله ﷺ، والله تعالى يحفظه ويرد كيدهم فى نحورهم.

وكان أبو لهب - وهو عمه عليه الصلاة والسلام - أشد عليه من الأباعد وكان من المؤذين: العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص والأسود بن عبد يغوث الزهوى. والأسود بن عبد المطلب الأسدى. ابن عم السيدة خديجة زوج

النبى ﷺ ، والوليد بن المغيرة، عم أبى جهل، والنضر بن الحارث العبدى، ولم يسلم من هؤلاء أحد، بل أهلكهم الله تعالى على الكفر، ما بين قتيل فى غزوة بدر، ومعذب بأشد الأمراض وأشنعها. والله عزيز ذو انتقام.

ولما رأى كفار قريش، أن طريق الأذى الذى لجأوا إليه، لم يجدهم نفعًا فيما يريدون اجتمعوا للشورى فيما يعملون مع رسول الله ﷺ لإرجاعه عن أمره، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة العبشمى - وكان من عظمائهم - ليعرض عليه أمورًا، لعله يقبلها عن هذه الدعوة، فذهب إلى رسول الله ﷺ ، وهو يصلى فى المسجد، وقال له: يا بن أخى إنك من خيارنا حسبًا ونسبًا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، ومن مضى من آبائهم فإن كنت تريد بما جئت به من الأمر مالا. جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفًا. سودناك علينا حتى لانقطع أمرًا دونك

وإن كنت تريد ملكًا. ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا من الجن[1]: لا تستطيع رده عن نفسك. طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فلمّا فرغ من كلامه قرأ عليه النبى ﷺ سورة من القرآن فرجع عتبة إلى قومه وقال لهم: يا معشر قريش، لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر. فأطيعونى وامتنعوا عن الرجل، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت شأن. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم. فقالوا: لقد سحرك محمد.

ولما لم تنفعهم هذه الحيلة، عمدوا إلى حيلة أخرى فعرضوا على رسول الله ﷺ، أن يشاركهم فى عبادتهم، ويشاركوه فى عبادته، فأنزل الله تعالى عليه سورة **﴿قل يأيها الكافرون﴾** فلما يئسوا من ذلك. طلبو منه أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الأوثان، والوعيد الشديد. فأنزل الله تعالى

(١) يقال رئى من الجن: أى مس.

عليه **﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾** سورة يونس ١٥ .

ولما رأوه أن كل ذلك لم ينفعهم شيئًا. لجأوا إلى طرق التعجيز واستمروا يسألون رسول الله ﷺ ، أسئلة تعنت وعناد، مثل قولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا[١]. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا[٢]،أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً[٣]. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه).

وكان يجيبهم عن ذلك بما يأمره الله تعالى به، مثل قوله تعالى: **﴿قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولاً﴾** سورة الإسراء ٩٣ .

---

(١) أى عينا غزيرة لا ينقطع ماؤها. (٢) أى قطعًا.

(٣) أى كفيلاً بما تقول: شاهدًا بصحته.

أمره ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة

لما عجزت قريش عن مقاومة رسول الله ﷺ، بالطرق السابقة لجأوا إلى استعمال الشدة والأذى مع أصحابه، فكل قبيلة كانت تسيء إلى من أسلم منها، وهم يتحملون تلك الإساءات بالصبر الجميل، فلم يفتنوا عن دينهم، بل ثبتوا على يقينهم.

ولما رأى رسول الله ﷺ، ما يصيب أصحابه من الأذى، وهم غير قادرين على منعه، لقلة عددهم، وعدم استعدادهم إذ ذاك، أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة، حتى يجعل الله لهم فرجًا مما هم فيه، فهاجر إليها منهم عشرة رجال، وخمس نسوة، فى مقدمتهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، ومكثوا هناك ثلاثة أشهر رجعوا بعدها إلى مكة. ولم يتمكنوا من دخولها إلا فى حماية من أجارهم من عظماء القوم. وفى ذلك الوقت أسلم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وكان عمره

حين إسلامه ستًا أو سبعًا وعشرين سنة، ولما أسلم قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم.

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش، عرضوا على بنى عبد مناف دية مضاعفة ليسلموا إليهم رسول الله ﷺ، فلم يقبل ذلك بنو عبد مناف، فعرضت قريش على أبى طالب أن يعطوه فتى من فتيانهم ويسلم إليهم ابن أخيه فردهم، وقال لهم: عجبًا لكم تعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه؟

ثم اتفق كفار قريش على مقاطعة بنى عبد مناف، وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم، فلا يعاملونهم ببيع ولا شراء حتى يسلموا إليهم محمدًا ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة، توكيدًا على أنفسهم بذلك، فالتجأ بنو عبد مناف. مسلمهم، وكافرهم إلى أبى طالب ودخلوا معه فى شعبه، فحاصرهم فيه كفار قريش مدة تقرب من ثلاث سنين حتى نفد ما عندهم من الزاد، واضطروا لأكل أوراق الأشجار. وبعد دخول رسول الله ﷺ الشعب،

أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر إليها منهم ثلاثة وثمانون رجلا من بطون قريش، ومعهم من نسائهم سبع عشرة امرأة، ومن أخذوا من أولادهم، ولما وصلوا إلى الحبشة ـ وكان ملكهـا عادلاً ـ أكرمـهم، وأمنهم على عبـادتهم، ومكنهم من إعلانها فلمـا علمت قريش بذلك، أرسلت إلى نجاشى الحبشة وفدا يـحمل إليـه وإلى بطارقتـه الهديا ليـرد هؤلاء المهاجـرين ويمنعـهم من الإقامـة فى أرضه فلم يرض النجـاشى بذلك بل استحضر المهاجرين إليـه، وسألهم عمهم عليه من الدين فكلمه جعـفر بن أبى طالب رضى الله عنـه. وأبان له ما كانت عـليه حالتـهم قبل الإسلام، ومـا جاءهم به الإسلام من ترك عـبادة الأوثان وإفراد الله تعالى بالعبـادة، وما أرشدهم إليه من مكارم الأخلاق، وقرأ عليـه جعفر أول سورة (مـريم)، المشتملة على قصة مولد المسـيح عيسى بن مريم عليه الصـلاة والسلام، فقال النجاشى: إن هـذا مثل الذى جاء به المسـيح، ثم سألهم عـما يتقوله عليـهم وفد قريش فى حق المسيح، فقال جـعفر: نقول فيـه الذى جاء به نبينا «هو عـبد الله ورسوله، وروحه وكلمـته

ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فقال النجاشى: إن عيسى بن مريم لا يزيد على ذلك. ثم قال للمهاجرين: اذهبوا فأنتم آمنون، ورد على وفد قريش هداياهم، فرجعوا إلى قومهم خائبين!

بيعة أهل المدينة

لما رأى رسول الله ﷺ، أن كفار قريش لا ينفكون عن مقاومته ومعارضته فى تأدية رسالة ربه، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه على غيرهم من كبار العرب، عسى أن يجد منهم حماية وعضدًا يعينه على تأدية الرسالة، وتبليغ الدعوة. فكان ﷺ يخرج فى مواسم العرب وأسواقهم التى كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة، وخصوصًا مواسم الحج داعيًا إياهم إلى الله تعالى قارئًا عليهم القرآن الكريم، طالبًا منهم نصره حتى يؤدى رسالة ربه. فلم يكونوا يجيبونه، إلى أن قدم وفد من المدينة المنورة من قبيلة (الأوس) يريدون أن يعقدون حلفًا مع قريش

لينصروهم على بنى عمهم (الخزرج)، فلما علم النبى ﷺ بقدومهم قابلهم، وقال لهم «هل لكم فى خير مما جئتم له؟ أنا رسول الله، بعثنى الله إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» وتلا عليهم شيئًا من القرآن، وذكر لهم أمور الإسلام، فمال بعضهم إلى قبول الإسلام، وأبى الآخرون، فانصرف الجميع إلى المدينة دون أن يسلموا، ثم وفد فى موسم الحج جماعة من الخزرج، فقابلهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته فى تبليغ رسالة ربه، وكانوا ستة رجال فأسلموا جميعًا، ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل، وهم أول من أسلم من عرب المدينة، فلما كان العام المقبل، وقدم خمسة منهم فى أثنى عشر رجلاً عشرة من الخزرج. واثنان من الأوس، واجتمعوا بالنبى ﷺ عند العقبة وأسلم باقيهم، وبايعوا كلهم رسول الله ﷺ على ألا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولايزنوا، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف. وأرسل معهم من

يقرئهم القـرآن ويفقههم فى الدين. وبذلك انتـشر الإسلام فى دور المدينة وصار حديث القوم فى مجـتمعاتهم ونواديهم، وقد سميت هذه البيعة: (بيعة العقبة الأولى).

وفى موسم الحج، فى العام الذى يلى بيعة العقبة الأولى، وفـد إلى مكة كثيـرون من أهل المدينة. فـقابلهم رسـول الله ﷺ ووعدهم المقـابلة ليلاً عند الـعقبـة وأمرهم أن يكتـموا أمرهم، فلا يطلع على ذلك أحد من كبار قريش، فتوجهوا إلى موعدهم فى منتصف الليل، وكان مع النبى ﷺ عمه العباس وكان باقيًـا على دين قومه، وإنما أحضـره معه ليتـوثق له فلما اجتمعوا. قـال لهم العباس: إن ابن أخى هذا لم يزل فى منعة من قومه. فإن كنتم ترون أنكم قـوامون له ما دعوتموه إليه من البيـعة ومانعوه ممن خـالفه، فأنتم ومـا تحملتم من ذلك. وإلا فدعوه بين عـشيرته، فقـال كبيرهم: إنما نريد الـوفاء والصدق وبذل مهـجنا دون رسول الله وطلبـوا من رسول الله ﷺ أن يبين لهم شروط البـيعة؟ فقـال «أشترط لربى أن تعبـدوه وحده

ولا تشركوا به شيئًا. ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم» فبايعوه على ذلك وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً. منهم اثنان وستون من الخزرج. وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان. وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية).

واختار رسول الله ﷺ منهم اثنى عشر نقيبًا. تسعة من الخزرج. وثلاثة من الأوس: وقال لهؤلاء النقباء «أنتم كفلاء على قومكم كل على عشيرته، فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام فيها أكثر من المرة الأولى.

وق شعرت قريش بهذه البيعة، فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة، فأشار رسول الله ﷺ عليهم بالهجرة إلى المدينة، فصاروا يتسللون إليها وحدانًا وجماعات مختفين عن أعين قريش، حتى أنه لم يبق بمكة إلا أبو بكر الصديق وعلى ابن أبى طالب. وقليلون ممن لم يقدروا على الهجرة، وقد أراد أبو بكر - رضى الله عنه - الهجرة، فأشار عليه النبى ﷺ

بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له ﷺ بالهجرة فانتظر أبو بكر - رضى الله عنه - وأعد لذلك راحلتين كانتا عنده إحداهما له والأخرى لرسول الله ﷺ .

هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

لما علم كفار قريش أن رسول الله ﷺ صارت له شيعة وأنصار من غيرهم، ورأوا مهاجرة أصحابه إلى أولئك الأنصار الذين بايعوه على المدافعة عنه حتى الموت، اجتمع رؤساؤهم وكبارهم فى دار الندوة؛ ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبى ﷺ . فقال قائل منهم: نحبسه مكبلاً بالحديد حتى يموت. وقال آخر: نخرجه وننفيه من بلادنا. فقال أحد كبرائهم: ما هذا ولا ذاك برأى، لأنه إن حبس ظهر خبره فيأتى أصحابه وينزعونه من بين أيديكم، وإن نفى لم تأمنوا أن يتغلب على من يحل بحيهم من

العرب بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتبعوه؛ فيسير بهم إليكم. فقال الطاغية أبو جهل: الرأى أن نختار من كل قبيلة فتى جلدًا، ثم يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه فى القبائل جميعًا فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل. فأعجبهم هذا الرأى، واتفقو جميعًا، وعينوا الفتيان الليلة التى أرادوا تنفيذ هذا الأمر فى سحرها؛ فأعلم الله تعالى رسوله ﷺ بما أجمع عليه أعداؤه، وأذن له سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة)، فذهب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وأخبره وأذن له أن يصحبه واتفقا على إعداد الراحلتين اللتين هيأهما أبو بكر الصديق لذلك. واختارا دليلاً يسلك بهما أقرب الطريق، وتواعدا على أن يبتدئا بالسير فى الليلة التى اتفقت قريش عليها، وفى تلك الليلة أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه على بن أبى طالب أن ينام فى مكانه، ويتغطى بغطائه، حتى لا يشعر أحد بمبارحته بيته، ثم خرج ﷺ وفتيان قريش متجمهرون على باب بيته، وهو يتلو سورة «يس» فلم يكد يصل إليهم حتى بلغ قوله تعالى ﴿**فأغشيناهم**

فهم لا يبصرون﴾(سورة يس ٩) فجعل يكررها حتى ألقى الله تعالى عليهم النوم، وعميت أبصارهم فلم يبصروه ولم يشعروا به وتوجه إلى دار أبى بكر، وخرجا معا من خوخة فى ظهر البيت، وتوجها إلى (جبل ثور) بأسفل مكة فدخلا فى غاره، وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروجه ﷺ فلما تبين لقريش أن فتيانهم إنما باتوا يحرسون على بن أبى طالب، لا محمدًا ﷺ ، هاجت عواطفهم، وارتبكوا فى أمرهم ثم أرسلوا رسلهم فى طلبه والبحث عنه من جميع الجهات، وجعلوا لمن يأتيهم به مائة ناقة، فذهبت رسلهم تقتفى أثره، وقد وصل بعضهم إلى ذلك الغار الصغير الذى لو التفت فيه قليلاً لرأى من فيه فحزن أبو بكر - رضى الله عنه - لظنه أنهم قد أدركوهما، فقال النبى ﷺ : «لا تحزن إن الله معنا» فصرف الله أبصار هؤلاء القوم وبصائرهم، حتى لم يلتفت إلى داخل ذلك الغار أحد منهم بل جزم طاغيتهم، أمية بن خلف بأنه لا يمكن اختفاؤهما به لما رأوا من نسج العنكبوت وتعيش الحمام على بابه.

وقد أقام رسول الله ﷺ بالغار ثلاث ليال حتى ينقطع طلب القوم عنهما، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، ثم يصبح فى القوم ويستمع منهم الأخبار عن رسول الله وصاحبه، فيأتيهما كل ليلة بما سمع، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام فى كل ليلة من هذه الليالى، وقد أمر عبد الله بن أبى بكر غلامه بأن يرعى الغنم ويأتى بها إلى الغار ليختفى أثره وأثر أسماء.

وفى صبيحة النيلة الثالثة من مبيت رسول الله ﷺ وصاحبه بالغار، وهى صبيحة يوم الاثنين فى الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة الهجرة وهى سنة ثلاث وخمسين من مولده ﷺ وسنة ثلاث عشرة من البعثة المحمدية، جاءهما بالراحلتين عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وعبد الله بن أريقط الذى كانا استأجراه ليدلهما على الطريق، فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ليخدمهما، وسلك بهما الدليل أسفل مكة ثم مضى بهما فى طريق الساحل، وبينما هم فى الطريق إذ لحقهم سراقة بن مالك المدلجى، فلما قرب منهم عثرت فرسه حتى

سقط عنهـا، ثم ركبهـا وسار حتى سـمع قراءة النبى ﷺ ، وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثـر الالتفات، فسـاحت قوائم فرس سراقة فى الأرض فسقط عنها، ولم تنهض إلا بعد أن استغاث صاحبها بالنبى ﷺ ، وقد شاهد غـبارًا يتصاعد كالدخان من آثار خـروج قوائم فـرسـه من الأرض، فداخله رعب شـديد، ونادى يطلب الأمان، فوقف رسـول الله ﷺ ومن معه حتى جاءهم وعرض عليـهم الزاد والمتاع، فلم يقبلا منه شـيئًا، وإنما قالا له «أكـتم عنا» فسـألهم كتاب أمن، فكتب لـه أبو بكر ما طلب بأمر رسول الله ﷺ فـسألهما، وعاد سـراقة من حيث أتى، كأنما ما رأى، واسـتمر رسول الله وصاحبه فى طـريقهما حتى وصلا «قباء»[1] فى يوم الاثنين من ربيع الأول، فنزل بها رسـول الله ﷺ على بنى عـمـرو بن عـوف، ونزل أبو بكر رضى الله عنه بالسنح[2] على خارجة بن زيد، ومكث رسول الله ﷺ بقبـاء ليالى أنشـأ فيهـا مسجـدًا، وصلى فيـه عليه

(١) موضع بضاحية المدينة.

(٢) محلة بالمدينة.

الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار، وقد أدركه ﷺ بقباء على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بعد أن أقام بمكة بعده بضعة أيام ليؤدى ما كان عنده من الودائع إلى أربابها.

وقد كان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله ﷺ يخرجون خارج المدينة يترقبون مقدمه كل يوم، حتى يردهم حر الظهيرة، فبعد أن رجعوا إلى منازلهم يومًا سمعوا من ينادى بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون، فخرجوا وتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة[1] قبل نزوله بقباء.

ثم تحول عليه الصلاة والسلام من قباء إلى المدينة، يحيط به الأنصار فرحين، متقلدى سيوفهم ما بين ماشٍ وراكب، يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن ينزله فى داره، والنساء والصبيان ينشدون:

(١) هى الأرض ذات الحجارة السوداء.

طلع البـــــدر علينا مـن ثنيـــات الـوداع

وجـب الشكـر عـلينـا مــــا دعـــا لله داع

أيهــا المبــعـــوث فــينا جــئـت بالأمــر المطاع

وكان ذلك فى يوم الجمعة، فـأدركته صلاتها فى ديار بنى سالم بن عوف فنزل وصلاها، ثم ركب وسار، وكلما مر على دار من دور الأنصـار يتـضـرع إليـه أهلـهـا أن ينزل عليـهـم، ويأخذون بزمام ناقته فيقول:

«دعوها فـإنها مأمورة» فلم تزل سـائرة حتى أتت فناء بنى عدى بن النجـار، أخواله ﷺ : فبـركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى، فقال عليـه الصلاة والسلام: ههنا المنزل إن شاء الله تعـالى، ونزل بدار أبى أيوب وأقام بـهـا شـهرًا حـتى اشتـرى الموضع الذى بركت فيه الناقة، وبنى فيه المسجد، وبنى بجواره حجرتين لزوجتيه عائشة وسودة، وأرسل إلى مكة من استحضر له أهله، كـما أرسل أبو بكر - رضى الله عنه - من اسـتحـضـر أهله، فـقدمت سودة زوج النـبى ﷺ، وفاطمة وأم كـلثوم

بنتاه، وقدم عبد الله بن أبى بكر بزوجة أبيه وأخته عائشة، وأسماء زوج الزبير بن العوام، وتلاحق المهاجرون فلم يبق من المسلمين إلا قليل ممن لم يتيسر لهم الرحيل، أما زينب ابنته ﷺ فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع.

ولما تمت الهجرة إلى المدينة، تنافس الأنصار فى المهاجرين، كل يريد أن يكون له منهم الحظ الأوفر، فكانوا يقترعون عليهم فى النزول ورأى رسول الله ﷺ أن يقوى الإخاء بينهم، فآخى بين كل أنصارى ونزيل من المهاجرين، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وذلك أعلى درجة تقضيها الأخوة فى الله تعالى.

الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبى ﷺ، من مكة إلى المدينة المنورة بقليل أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج.

أما الإسراء: فهو توجه ﷺ: من المسجد الحرام الذى فيه الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (بالشام)، ليريه الله سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم.

فقد ركب ﷺ بأمر الله تعالى - البراق، وهو دابة ليست كدوابنا هذه، وإنما هى شىء سخره الله تعالى لرسوله إكرامًا وتعظيمًا، يضع ذلك البراق حافره عند منتهى طرفه فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى وصل إلى بيت المقدس فى ليلته، فدخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إمامًا.

وأما المعراج فهو بعد أن خرج النبى ﷺ من بيت المقدس ركب البراق وصعد به إلى السموات، فكان كلما وصل إلى سماء يستفتح جبريل، فيقال: من أنت ومن معك؟ فيقول: جبريل ومحمد. فيقال: أو قد بعث إليه؟ فيقول: نعم فيفتح لهما من الترحيب والدعاء بالخير حتى انتهيا إلى السماء السابعة، وبعدها توجه ﷺ إلى سدرة المنتهى، وهناك شاهد

ما لا تدرك العقول البشرية حقيقته، وأوحى الله تعالى إلى نبيه ما أوحى، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته فى ذلك الوقت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، ونزل ﷺ حتى وصل إلى السماء السادسة ولقى فيه سيدنا موسى عليه السلام، فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته، فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف، فإن أمته لا تطيق ذلك، فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام، حتى جعل الله تعالى الصلوات المفروضة خمسًا فى الفعل، وخمسين فى الأجر.

ثم رجع ﷺ إلى مكة من ليلته، فلما أصبح ذهب إلى قريش، فأخبر القوم بما رآه، فكذب من كذب، وارتد بعض ضعاف القوم عن الإسلام، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس، فوصفه كما هو، ثم سألوه عن عير[1] لهم فى الطريق، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، ووقت قدومها فكان كما

(١) قافلة تحمل تجارتهم.

قــال، ومع ذلك لم تردعــهم تلك الأدلة الظـاهرة عن عنادهم وكفرهم إلا من وفقه الله تعــالى وثبته على دين الإسلام، وفى صبيحــة ليلة الإسراء جاء جبريل إلى النبى ﷺ وأراه كـيفية الصلوات الخمس وأوقــاتها، وكانت الصلاة قبــل ذلك ركعتين صباحًا، وركعتين مساء. كصلاة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تم القسم الأول

ويليه القسم الثانى

القسـم الثانـى
من ملخص السيـرة النبويـة

القسم الثانى
من ملخص السيرة النبوية

الغزوات

أسباب الغزوات، ومشرعية القتال

بعد أن استقر ﷺ بالمدينة، وكان بها اليهود من بني قينقاع، وقريظة، والنضير، أقرهم عليه الصلاة والسلام على دينهم وأموالهم، واشترط لهم وعليهم شروطًا. وكانوا مع ذلك يظهرون العداوة والبغضاء للمسلمين، ويساعدهم جماعة من عرب المدينة، كانوا يظهرون الإسلام وهم فى الباطن كفار، وكانوا يعرفون بالمنافقين يرأسهم عبد الله بن أبى بن سلول، وقد قبل ﷺ من هاتين الفئتين (اليهود والمنافقين) ظواهرهم، فلم يحاربهم ولم يحاربوه، بل كان يقاوم الإنكار بالحجج الدامغة والحكم البالغة، ولم يكن يقاتل أحدًا على الدخول فى دين الله بل كان يدعو إليه ويجاهد فى سبيله بإقامة ساطع الحجج وقاطع البراهين، ولكن لما كانت قريش أمة معادية له ولدعوته ومعارضة له فيها، وقد آذته وآذات المسلمين، وأخرجتهم من ديارهم، واستولت على ما تركوه بمكة من الأموال وآذت المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة؛ أذن

الله تعالى لرسوله ﷺ بقتالهم وقتال كل معتد صادر عن الدعوة.

فأول ما بدأ به رسول الله ﷺ من ذلك، مصادرة تجارة قريش التى كانوا يذهبون بها إلى الشام والتى يجلبونها منها.

وكان بعد ذلك عندما تدعو الحال لقتال من يقف فى وجه الدعوة من قريش أو غيرهم، يخرج إلى القتال بنفسه ومعه المقاتلون من المسلمين، وتارة يبعث من المقاتلين من يختاره لقيادتهم، وقد سمى المؤرخون ما خرج فيه النبى ﷺ بنفسه (غزوة) سواء أحارب فيها أم لم يحارب، وسموا ما بعث فيه أحد القواد (سرية).

ففى السنة الأولى: من الهجرة، بعث سريتين.

وفى السنة الثانية: غزا بنفسه سبع غزوات، وبعث سرية واحدة، وأكبر غزواتها غزوة بدر.

وفى السنة الثالثة: غزا بنفسه أربع غزوات، وبعث سرية وحدة، وأهم غزواتها أحد.

وفى السنة الرابعة: غزا ثلاث غزوات، وبعث ثلاث سرايا.

وفى السنة الخامسة: غزا أربع غزوات، أشهرها غزوة الخندق.

وفى السنة السادسة: غزا ثلاث غزوات، وبعث إحدى عشر سرية، ومن غزواتها غزوة الحديبية.

وفى السنة السابعة: غزا غزوة واحدة، وهى غزوة خيبر، وبعث ثلاث سرايا.

وفى السنة الثامنة: غزا أربع غزوات، وبعث عشر سرايا، وأكبر غزواتها غزوة فتح مكة، وغزوة حنين.

وفى السنة التاسعة: غزا غزوة واحدة، وهى غزوة تبوك، وبعث سرية واحدة.

وفى السنة العاشرة: بعث سريتين، وفيها حج حجة الوداع.

وفى السنة الحادية عشرة: بعث سرية واحدة.

فجملة الغزوات التى خرج للقتال فيها بنفسه ﷺ : سبع وعشرون غزوة، وجملة السرايا التى بعث فيه القواد ولم يخرج فيها بنفسه خمس وثلاثون سرية.

غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارتها إلى الشام لتبيع وتشترى؛ فتمر فى ذهابها وإيابها بطريق المدينة، ففى شهر جمادى الثانية من السنة الثانية للهجرة، بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام فى عير كبير[1]، خرج بها أبو سفيان بن حرب فى بضعة وثلاثين رجلاً من قريش، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ : خرج إليهم فى مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين، فلم يدركهم، ولما علم برجوعهم من الشام خرج إليهم فى العشر الأوائل من شهر رمضان. فى ثلاثمائة وأربعة

(١) كانوا يسمون الركب الخارج بالتجارة عيرًا.

عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، معهم فرسان، وسبعون بعيرًا وسار حتى عسكر بالروحاء[1]، وكان أبو سفيان حين قرب من الحجاز يسير محترسًا، فلما علم بخروج رسول الله ﷺ، ترك الطريق السلوكة،وسار بساحل البحر، ثم بعث رجلاً إلى مكة ليخبر قريشًا، ويستنفرهم لحفظ أموالهم، فقام منهم تسعمائة وخمسون رجلاً، فيهم مائة فارس وسبعمائة بعير « فلما علم رسول الله ﷺ، بخروج هذا الجمع، استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام، فارتحل حتى وصل قريبا من وادى بدر، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة، وأن قريشا وراء الوادي لأن أبا جهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدرآ فينحروا ويطعمون الطعام ويسقوا الخمور، فتسمع بهم العرب فتهابهم أبدا، فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعدوة القصوى[2]، من الوادى وسار رسول الله

(١) موضع على بعد أربعين ميلاً من جنوب المدينة.

(٢) عدوة الوادى: شاطئه، القصوى: البعيدة، والدنيا: القريبة.

ﷺ : بأصحابه حتى نزلوا بالعدوة الدنيا من الوادي، ولم يكن بها ماء فأرسل الله تعالي الغيث، حتي سال الوادي. فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم، وتلبدت لهم الأرض حتي سهل المسير فيها، أما الجهة التي كان بها المشركون، فإن المطر أوحلها فتقدم النبى ﷺ : بجيشه حتي نزل بأقرب ماء من القوم، وأمر ببناء حوض يملأ ماء لجيشه، كما أمر بأن يغور ما وراءه من الآبار حتي ينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين. ثم أذن لأصحابه أن يبنوا له عريشا يأوى إليه، فبني له فوق تل مشرف علي ميدان القتال.

فلما تراءي الجيشان[١]، قام النبيﷺ : بتعديل صفوف جيشه حتي صاروا كالبنيان المرصوص، ونظر لقريش فقال اللهم هذه قريش، قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى. ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين، وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة

(١) وكان ذلك فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة.

وطلبو من يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال المشركون إنما نطلب أكفاءنا من بنى عمنا (أى القرشيين) فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث، وعلى بن أبى طالب، فكان حمزة بإزاء شيبة، وكان عبيدة بإزاء عتبة، وكان على بإزاء الوليد. فأما حمزة وعلى فقد أجهز كل منهما على مبارزه، وأما عبيدة فقد ضرب صاحبه ضربة لم تمته وضربه صاحبه مثلها، فجاء على وحمزة فأجهزا على مبارز عبيدة وحملا عبيدة وهو جريح إلى صفوف المسلمين[١].

ثم بدأ الهجوم، فخرج رسول الله ﷺ من العريش يشجع الناس ويقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وأخذ من الحصباء حفنة ورمى بها فى وجوه المشركين قائلا: «شاهت الوجوه»[٢]، «ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم فحمى الوطيس[٣] وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر، فلم تك

(١) وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه.

(٢) شاهت الوجوه: قبحت.

(٣) أى اشتدت الحرب.

إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين رجلاً وأسروا سبعين، ومن بين القتلى كثيرون من صناديدهم، ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين، كما أمر بإلقاء قتلى المشركين فى قليب بدر، ولم يستشهد من المسلمين سوى: أربعة عشر رجلاً رضى الله عنهم.

ثم أمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم فجمعت، وأرسل من يبشر أهل المدينة بالنصر، ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن فى حكمهم من المخلفين لمصلحة، وحفظ لورثة الشهداء أسهمهم، وأما الأسرى: فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستبقيهم ويقبل الفداء من قريش عمن تريد فداءه فبعثت قريش بالمال لفداء أسراها، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم، ومن لم يكنْ معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المسلمين يعلمهم فكان ذلك فداءه.

وكان من الأسرى: العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ، فلم يعفه من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مكرها، وكان منهم أيضًا: أبو العاص بن الربيع، زوج زينب ابنة رسول الله ﷺ وقد أفتدته ـ رضى الله عنها ـ بقلادتها، فردت إليها، واشترط عليه النبى ﷺ أن يمكنها من الهجرة إلى المدينة، فوفى بشرطه، وقد أسلم قبل فتح مكة، فرد عليه النبى ﷺ: زوجته، ومنهم من مَّن عليه النبى ﷺ: بغير فداء كأبى عزة الجمحى الذى كان يثير بشعره قريشًا ضد المسلمين، فطلب من رسول الله ﷺ أن يفكه من الأسر، على أن لا يعود لمثل ذلك، فأطلقه على هذا الشرط.

ومن قتلى قريش أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعقبة وشيبة ابنا ربيعة، وحنظلة بن أبى سفيان، والوليد بن عتبة، والجراح والد أبى عبيدة.

وأما شهداء بدر الأربعة عشرة، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، فمن المهاجرين: عبيدة بن الحارث،

وعمير بن أبى وقاص، ومن الأنصار: عوف، ومعوذ أبناء عفراء الخزرجيان، وهما اللذان قتلا أبا جهل، ومنهم سعد بن خيثمة الأوسى، أحد النقباء فى بيعة العقبة.

وهذه الغزوة الكبرى التى انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر مع قلة عددهم وعُددهم، وكثرة عدد العدو وعدته، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى، بالمسلمين الصادقى العزيمة، الممتلئة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى ثقة بما وعدهم على لسان رسوله ﷺ من الفوز والنصر.

ولقد دخل بسببها الرعب فى قلوب كافة العرب فكانت للمسلمين عزًا وهيبة وقوة.

غزوة أحد

بعد أن مضى على غزوة بدر عام كامل، وكانت عير قريش لم تزل موقوفة بدار الندوة، اجتمع من بقى من عظمائهم إلى أبى سفيان، واتفقوا على أن يتركوا ربح أموالهم

فى تلك العير استعداداً لحرب رسول الله ﷺ، وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار. فاجتمع منهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم حلفاؤهم من بنى المصطلق وغيرهم وخرجوا بالقيان والدفوف والخمور. ومعهم هند امرأة أبى سفيان. وخمس عشرة امرأة ليشجعنهم، وساروا حتى وصلوا إلى ذى الحليفة بالقرب من المدينة، وقد كان العباس بن عبد المطلب بعث إلى رسول الله ﷺ بكتاب يخبره فيه بخروج القوم، فجمع عليه الصلاة والسلام أصحابه وأخبرهم الخبر واستشارهم فى البقاء بالمدينة، حتى إذا قدموا إليها قاتلوهم، فكان رأى الأكثرين الخروج للقاء العدو.

ففى يوم الجمعة لعشر خلون من شوال فى السنة الثالثة من الهجرة صلى الجمعة بالناس وحضهم فى خطبته على الثبات والصبر، ثم دخل حجرته فلبس، درعين، وتقلد السيف، وألقى الترس وراء ظهره، ولما خرج للناس بعدته هذه، قال بعض من أشار بالخروج: نتبع ما عرضته من البقاء، فقال «ما كان لنبى لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين

أعدائه، ثم عقد الألوية واستعرض الجيش، وسار بألف رجل حتى منتصف الطريق بين المدينة وجبل أحد[1]، فرجع عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين فى ثلاثمائة من أصحابه، ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة، وقد نزل المشركون ببطن الوادى، بالقرب من أحد، فاستحضر رسول الله ﷺ الرماة وكانوا خمسين رجلاً، فجعلهم خلف الجيش على ظهر الجبل، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم، ثم عدل الصفوف وخطب فى الجيش بالنصائح والمواعظ، ثم خرج من صفوف المشركين رجل فبرز له الزبير بن العوام فقتله، وقتل على بن أبى طالب حامل لواء المشركين وهو حمزة أرطاة، وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق يطلب المبارزة فهمّ أبو بكر أن يبرز إليه فمنعه النبى ﷺ قائلا له «متعنا بنفسك يا أبا بكر».

ثم التقت الصفوف، وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف، وينشدون الأشعار تهييجًا لرجالهن، فدارت رحى

(١) أحد: فى شمال المدينة.

الحرب، وكانت الغلبة للمسلمين إلا أن الرماة لما رأوا انكشاف المشركين، ترك أكثرهم مكانهم الذى أمروا ألا يتحولوا عنه وتحولوا إلى العسكر وخلوا ظهر المسلمين للعدو، واشتغل بعض الجيش بالغنائم، فاختلت الصفوف، فتحولت فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد وجاءوهم من خلفهم، فأصابوا فيهم وأذيع قتل رسول الله ﷺ، فأضعف ذلك من عزائم الجيش، وانهزم جماعة من المسلمين، وانكشف مكان النبى ﷺ للعدو؛ فأصابته الحجارة ووقع لشقه فأصيبت رباعيته[١] وجرح وجهه وشفته، ودخلت حلقتان من المغفر فى وجنتيه[٢]، وأحاط به الكفار، فدافع دونه خمسة من الأنصار وعاد إليهم فئة من المسلمين، حتى أجلوا الكفار عن رسول الله ﷺ، وكان ممن أمتاز فى المدافعة عن رسول الله ﷺ فى ذلك الوقت سعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف،

---

(١) الرباعية: هى السن التى بين الناب والثنية.

(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، وقد عالج أبو عبيدة بن الجراح نزع هاتين الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ حتى نزعهما وكسرت فى ذلك ثنيتاه رضى الله عنه.

وأبو طلحة الأنصارى الذى نشر كنانته بين يد رسول الله ﷺ ، وأبو دجانة الذى كان النبل يقع فى ظهره وهو منحن على رسول الله ﷺ .

وبعد أن أجلى الكفار عن رسول الله ﷺ ، رآه كعب بن مالك الأنصارى فشرع ينادى يا معشر المسلمين أبشروا فأشار إليه رسول الله ﷺ أن يسكت. ثم سار عليه الصلاة والسلام نحو الشعب، بين سعد بن أبى وقاص وسعد بن عبادة، ومعه أبو بكر، وعمر، وعلى، وطلحة، والزبير، وغيرهم. وجاءت فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - فغسلت عنه الدم، وضمدت جروحه، وأقبل أبى بن خلف من المشركين يقول أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فطعنه النبى ﷺ بحربة فوقع عن فرسه وأصيب فى عنقه، ومات بسبب ذلك[1]، ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلو صخرة من الشعب، لينظر جماعة من المشركين، فلم يتمكن من القيام بنفسه، فأعانه طلحة بن عبد

(١) ولم يقتل بيدر رسول الله ﷺ أحد غيره، لا فى هذه الغزوة ولا فى غيرها.

الله حتى أصعده على الصخرة فـرأى جماعة من المشركين على ظهر الجبل، فـقال: لا ينغى لهم أن يعلونا فأرسل إليـهم عمر ابن الخطاب فى جماعـة فأنزلوهم، وقد صعد أبو سـفيان ربوة ونادى بأعلى صوتـه: إن الحرب سجـال، يوم بيوم بدر. أعل هـبـل[1] فأمر رسـول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يجـيبه فأجابه عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقوله: الله أعلى وأجل لا سواه، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار، فلما سمع أبو سفيان صوت عـمر، قال هلم إلى يا عمـر، فأذن له النبى ﷺ أن يأتيه، فـقال أبو سفـيان: أنشدك الله يا عمـر، أقتلنا محـمدًا؟ فقال عـمر: اللهم لا، وإنه ليســمع كلامك الآن، ثم نادى أبو سفيان: إن موعدك بدر، العام المقبل، فأجيب من قبل المسلمين بأمر النبى ﷺ. نعم هو بيننا وبينك موعد[1]، ثم انصرفوا، وتفقد رسول الله ﷺ القـتلى وأمر بدفنهم، وعاد إلى المدينة فى منتصف شوال.

(١) هبل: اسم صنم لهم.

وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين فى هذه الغزوة سبعين شهيدًا، منهم أربعة من المهاجرين، والباقون من الأنصار، وقتل من المشركين اثنان وعشرون.

وجعلت زوجة أبى سفيان ومن معها من النساء يمثلن بالشهداء، فجدعن الآذان والأنوف، واتخذن منها قلائد وبقرت زوجة أبى سفيان بطن حمزة ولاكت كبده، تشفيًا من نكايتهم فى غزوة بدر.

ثم أمر رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى المدينة بليلة واحدة أن يخرج معه - لتعقب العدو - كل من حضر هذه الغزوة، فلما شعر أبو سفيان بذلك هم أن يعود المشركون للقاء المسلمين، فقيل له إن محمدًا قد أقبل فى جميع أصحابه، فخاف وانثنى عن عزمه، واستمر راجعًا إلى مكة وأقام رسول

(١) وقد اخلف أبو سفيان موعده فلم يخرج فى العام التالى، وأما النبى ﷺ فقد خرج فى ذلك العام إلى بدر ولم يلق أحدًا، وسميت هذه الغزوة غزوة بدر - الأخرى أو الصغرى.

الله ﷺ بأصحابه فى حمراء الأسد[1] ثلاثة أيام وعاد إلى المدينة بعد أن تأكد من انصراف المشركين إلى مكة.

غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب

كان بين المسلمين من الخزرج وبين يهود بنى النضير المجاورين للمدينة عهد على التناصر، فخان اليهود عهدهم من المسلمين، حيث هموا بقتل النبى ﷺ، فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم فى السنة الرابعة للهجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم، ولم يقر لهؤلاء اليهود قرار بعد ذلك، فذهب جمع منهم إلى مكة وقابلوا رؤساء قريش، واتفقوا معهم ومع قبيلة غطفان على حرب المسلمين، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة، وتجهزت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وتحزبوا جميعًا على محاربة المسلمين حتى بلغ عدد جميعهم عشرة آلاف محارب

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة فى طريق مكة.

قائدهم العام أبو سفيان، فلما سمع رسول الله ﷺ بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم. فأشار سلمان الفارسى - رضى الله عنه - بحفر خندق فى شمال المدينة من الجهة التى تؤتى منها المدينة فحفروه، وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق، وجاء رسول الله ﷺ فى ثلاثة آلاف من المسلمين أمام الخندق، واستمروا على هذه الحالة، يترامون بالنبل بضعا وعشرين ليلة، وقد رتب رسول الله ﷺ حراسًا على الخندق لئلا يقتحمه الأعداء ليلاً، وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه، ولما طالت المدة اقتحم جماعة من المشركين الخندق بخيلهم، فمنهم من وقع فيه فاندق عنقه، ومنهم من برز له بعض شجعان المسلمين فقتله، وقد استمرت هذه الحركة يومًا كاملاً.

ثم بلغ النبى ﷺ أن يهود بنى قريظة القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهود. فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والذرارى، ولما علم

المسلمون بأمـر بنى قريظة اشتد وجلهم، لأن العـدو قد أصبح محـيطًا بهم من الخارج والداخل، ولكن الله سـبحـانه وتعالى قيض لرسول الله ﷺ من انبث بين الأعداء يفـرق جموعهم بالخديعة والحيلة، حتى استـحكم الفشل بينهم، وخاف بعضهم بعـضا، وأرسل الله تعـالى عليهم ريحًـا باردة فى ليل مظلم، أكفات قـدورهم، وطرحت آنيتهم فـارتحلوا من ليلتهم، وأزاح الله تعـالى هذه الغمـة التى تحزبت فـيهـا الأحزاب من قبـائل العرب واليهود على المسلمين، وكـانت هذه الحادثة بين شهرى شوال وذى القعدة من شهور السنة الخامـسة للهجرة، واستشهد فيها من المسلمين ستة وقتل من المشركين ثلاثة.

ولما عاد رسـول الله ﷺ : لم يخلع لباس الحـرب حتى حاصر بنى قريظة، لخيانتهم ونقضـهم العهد، واستمر محاصرًا لهم خمسًا وعشرين ليلة حتى كادوا يهلكون، ولم يروا بدًا من التسليم لما يحكم به رسول الله ﷺ ، ورضوا بأن ينزلوا على حكم الصحـابى الجليل سعد بن مـعاذ. فحكم بقـتل رجالهم

وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ غنائمهم، فحبس الرجال فى دور الأنصار حتى حفرت لهم خنادق وضربت أعناقهم فيها وكانوا نحو سبعمائة رجل، وذلك أراح الله المسلمين من شر مجاورة هؤلاء الأعداء.

غزوة الحديبية وصلحها

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة، وفى السنة السادسة خرج إلى بنى لحيان الذين قتلوا عصام بن ثابت ومن معه، فوجد القوم قد تفرقوا إلى ذى قرد، لرد إغارة عيينه بن حصن على لقاحه ﷺ ، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل، ثم إلى بنى المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجموع، فهزمهم وغنم منهم أموالاً وسبايا.

ثم خرج ﷺ فى ذى القعدة من تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة، وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف

وخمسمائة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محاربًا، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة فى قربها، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام إلا بسيوف مجردة فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان[1]، فجاءه من أخبره أن قريشًا اتفقت على صد المسلمين عن مكة، وتجهزت للحرب وأخرجت خالد بن الوليد فى مائتى فارس، ليصدوا المسلمين عن التقدم، فسار المسلمون من أسلفها. حتى وصلوا إلى مهبط الحديبية[2]، فبركت ناقته ﷺ فأمر أصحابه بالنزول، وهناك جاء رسول من قريش يسأل عن سبب مجئ المسلمين فأخبره النبى ﷺ بمقصده، فلما رجع إلى قريش لم يثقوا به، فأرسلوا آخر، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع، وقال لقريش: إن القوم جاءوا معتمرين وما ينبغى أن يصدوا، وما ينبغى أن تحج لخم وجذام وحمير، ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب، فلم تسمع قريش لقوله وبعثوا آخر، فرأى من أصحاب رسول الله ﷺ عظيم

---

(١) موضع على مرحلتين من مكة.

(٢) الحديبية: بئر بقرب مكة.

احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه، فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى، وقال: إنى والله ما رأيت ملكًا فى قومه مثل محمد فى أصحابه، فتكلم القوم فيما بينهم وقالوا: نرده عامنا ويرجع إلى قابل.

ثم أرسل رسول الله ﷺ: إليهم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فى جوار رجل من بنى أمية ليعلمهم بقصده، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة، فقالت قريش إن محمدًا لا يدخلها علينا عنوة أبدً، ثم منعوا سيدنا عثمان - رضى الله عنه - ومن معه من الرجوع، وشاع بين المسلمين أنه قد قتل، فدعا النبى ﷺ: أصحابه للبيعة على القتال فبايعوه على ذلك[1]. وبعث المشركون طلائعهم، فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلاً.

---

(١) وكان ذلك تحت شجرة سميت بشجرة الرضوان، وسميت هذه البيعة أيضًا بيعة الرضوان.

ولما سمعت قريش بهذه البيعة، خافوا أن تدور عليهم الدئرة، فأرسلوا أحدهم إلى رسول الله ﷺ للمكالمة فى الصلح، وبعد أن أطلقوا سبيل سيدنا عثمان ومن معه أطلق المسلمون من أسروهم، واتفق معهم رسول الله ﷺ : على قواعد الصلح، وهى أربعة أمور: ترك الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن يرجع رسول الله والمسلمون من عامهم دون أن يدخلوا مكة، فإذا جاء العام الثانى دخلوها بدون سلاح سوى السيوف فى القرب، وأقاموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها قريش، وأن من أتى المسلمين من قريش ردوه إليها، ومن جاء من المسلمين لا يلزمون برده وأن من أحب أن يدخل فى عهد المسلمين دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه، وأملى النبى ﷺ على على بن أبى طالب فكتب بذلك وثيقة. وقد رضى المسلمون بما رضى به رسول الله ﷺ بعد أن تألموا من بعض هذه الشروط. ثم تحلل رسول الله ﷺ والمسلمون من عمرتهم. وعادوا إلى المدينة، وقد نزلت فى هذه الحادثة سورة الفتح.

مراسلة رسول الله ﷺ الملوك بعد صلح الحديبية

بعد تلك الهدنة التى تمت بصلح الحديبية، أمن المسلمون شر قريش، وأصبحت طرق المواصلات مع سائر الجهات متيسرة، فشرع رسول الله ﷺ فى نشر الدعوة وتعميمها، فكاتب ملوك الأرض يدعوهم وأممهم إلى الإسلام، واتخذ له خاتمًا نقشه (محمد رسول الله).

فبعث دحية الكلبى بكتاب إلى قيصر ملك الروم، وكان بالقدس، فلما وصله الكتاب، وكان أبو سفيان بالشام فى تجارة، استدعاه فسأله عن نسب رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، فسأله هل تكلم بهذا القول أحد قبله؟ فقال لا، فسأله: هل كنتم تتهمونه بالكذب، فقال لا، فسأله: هل كان من آبائه ملك؟ فقال لا. فسأله: هل أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال بل ضعفاؤهم، فسأله: فهل يزيدون أم ينقصون؟ فقال بل يزيدون، فسأله: يرتد أحد منهم كراهية فى دينه؟ فقال لا. فسأله: هل يغدر إذا عاهد؟ فقال:

لا، فسأله هل قاتلتموه وكـيف حربكم وحربه؟ فقال حاربناه، وكانت الحرب بيننا وبينه سجـالا؛ مرة لنا ومرة علينا. فسأله: بما يأمركم؟ فقال يقول: اعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهى عمـا كان يعـبده آباؤنا، ويأمر بالصـلاة والصدق، والعـفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمـانة. فاستنتج الملك مما ذكر أنه نبى، وقال لأبى سفيان: إن كان ما كلمتنى به حقًا، فسيملك موضع هاتين، ثم جـمع عظمـاء الروم وحـادثهم فى اتبـاع هذا النبى فنفروا، وقـد غلب عليه حب ملكه فلم يسلم، ورد دحـية ردًا جميلاً.

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحـارث بن عمير بكتاب إلى أمير بصرى فلم بلغ «مؤتة» من قرى الشام، تعرض له شرحبيل الغسانى فقتله. ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

وأرسل عليه الصلاة والسـلام كتابًا إلى أميـر دمشق التابع لملك الروم، فلما وصله الكتاب وقرأه رمى بـه، واستعد لحرب المسلمين، واستأذن ملكه فى ذلك فلم يأذن له.

وأرسل عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل ملك الروم وكان بالإسكندرية، فلما قرأ قال لحاطب: ما منعه إن كان نبيًا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال له حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فلم لم يمنعه الله حين أخذه قومه ليقتلوه؟ فقال المقوقس لحاطب: أحسنت، ولقد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضار، ولا بالكاهن الكذاب وسأنظر، ثم كتب رد الجواب لرسول الله ﷺ بكلام لا اعتراف فيه ولا إنكار وأهدى له جاريتين، إحداهما مارية، التى تسرى بها عليه الصلاة والسلام وأتى منها بولده إبراهيم عليه السلام.

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابًا إلى النجاشى، ملك الحبشة فلما قرأه قال للرسول: إنى أعلم والله أن عيسى بشّر به ولكن أعوانى بالحبشة قليل.

وأرسل إلى كسرى ملك الفرس، فـاستكبر ومزق الكتاب فمزق الله تعالى ملكه كل ممزق.

وأرسل إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، فأسلم وأسلم مـعه بعض قـومـه، وأقره ﷺ أمـيـرًا من قبلـه على جهـة البحرين.

وأرسل إلى جعـفر وعبد الله ابنى الجلندى ملكى عـمان، فأسلما بعـد أن سألا عما يأمر به النبى وينهى عنه، فقـال لهما رسول النبى ﷺ إنـه يأمر بطاعة الله عـز وجل، وينهى عن معصيتـه ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

وأرسل عليـه الصـلاة والسـلام إلى هـوذة بن على ملك اليمامة فطلب من رسـول الله ﷺ أن يجعل له بعض الأمر، فلم يجبه.

غزوة خيبر ورجوع مهجرى الحبشة إلى المدينة وعمرة القضاء وسرية مؤتة

وبعد أن تم صلح الحديبية واستراح المسلمون من غزوات قريش، رأى رسول الله ﷺ أن يستريح أيضًا من أعدائه القريبين الذين يتربصون به الشر، وهم أهل خيبر الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين فى غزوة الخندق، فخرج ﷺ إلى خيبر فى أول السنة السابعة للهجرة وكانت خيبر محصنة بثمانية حصون، فعسكر المسلمون خارجها وأمر رسول الله ﷺ بقطع نخيلهم ليرهبهم، فلما رآهم مصرين على القتال؛ بدأهم بالمراماة، واستمروا فى المناوشة سبعة أيام، ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم، وتبعوهم حتى دخلوا أول حصن، فانهزم الأعداء إلى الحصن الذى يليه، فقاتلوا عنه قتالاً شديدًا حتى كادوا يردون المسلمين عنه، ولكن المسلمين اقتحموا عليهم هذا الحصن حتى ألجئوهم إلى الحصن الذى يليه

وحاصروهم فيه ومنعوا عنهم جداول الماء؛ فخرجوا وقاتلوا حتى انهزموا إلى حصن آخر، وهكذا حتى لم يبق غيرالحصنين الأخيرين، فلم يقاوم أهلها بها سلموا طالبين حقن دمائهم، وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يأخذ الواحد منهم إلا ثوبًا واحدًا على ظهره، فأجابهم رسول الله ﷺ لذلك وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة من دروع، وسيوف ورماح وأقواس، وحلى، وأثاث ومتاع، وغنم وطعام.

وقد قتل من اليهود فى هذه الغزوة ثلاثة وتسعون قتيلاً، واستشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدًا.

وفى هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية لرسول الله ﷺ ذراع شاة مسمومة، فأخذ منها مضغة ثم لفظها، حيث أعلمه الله تعالى أنها مسمومة وقد اعترفت تلك المرأة بما فعلت، وقالت: قلت إن كان نبيًا لن يضره وإن كان كاذبًا أراحنا الله منه، فعفا عنها ﷺ.

فتح فدك

وبعد فتح خيبر أرسل ﷺ إلى يهود فدك فصالحوه على أن يتركوا أموالهم ويحقن دماءهم، فأجابهم لذلك.

رجوع بقية مهاجرى الحبشة إلى المدينة

بعد رجوع المسلمين من خيبر، قدم من الحبشة بقية من كان فيها من المهاجرين منهم: جعفر بن أبى طالب، وأبو موسى الأشعرى وقومه بعد أن أقاموا بها عشر سنين.

وقد أسلم بعد غزوة خيبر ثلاثة من عظماء الرجال: خالد ابن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طليحة العبدرى.

عمرة القضاء

ولما حال الحول على صلح الحديبية، خرج رسول الله ﷺ بأصحابه الذين صدوا معه عن البيت عام الحديبية،

ليقضوا تلك العمرة التى صدوا عنها ـ حسب عهد الحديبية، فلما وصلوا إلى مكة؛ خرجت منها قريش ودخلها المسلمون وقضو عمرتهم، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا إلى المدينة بسلام.

سرية مؤتة[1]

فى منتصف السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله ﷺ جيشًا مؤلفًا من ثلاثة آلاف مقاتل، للاقتصاص من عمرو بن شرحبيل أمير بصرى من قبل الروم، لقتله الحارث بن عمير الذى بعثه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فلما بلغ هذا الجيش أرض «مؤتة» قابلهم الروم والعرب المتنصرة فى مائة وخمسين ألفا، وكان قائد المسلمين زيد بن حارثة فقتل، فتولى القيادة جعفر بن أبى طالب فقتل، ثم عبد الله بن

(١) هى أول حرب بين المسلمين والروم.

رواحة فقتل، وكان هذا الترتيب بأمر رسول الله ﷺ ، وبعد أن استشهد من سماهم النبى ﷺ ، اتفق الجيش على تولية خالد بن الوليد، فجعل يخادع الأعداء حتى ألقى الله الرعب فى قلوبهم وانصرفوا.

فتح مكة ونتائجه

كانت بطون خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ ، كما كانت بنو بكر بن وائل فى عهد قريش، وكانت بين هذين الحيين دماء فثار بنو بكر على خزاعة وساعدتهم قريش بالسلاح والأنفس وقاتلوهم، فقدم على رسول الله ﷺ نفر من خزاعة، وأخبروه بنقض قريش للعهد، فلما أحست قريش بما فعلت، جاء منهم أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ليقوى العهد ويزيد فى المدة، فلم يجبه إلى ذلك، وتأكد المسلمون من نقض قريش للعهد. فأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يتجهزوا، وكتم عنهم الوجهة، فاجتمع لذلك عشرة آلاف من المسلمين من

المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب، وخرج بهم رسول الله ﷺ لعشر مضت من شهر رمضان فى السنة الثامنة للهجرة، وساروا حتى نزلوا «بمر الظهران» بقرب مكة، بدون أن تعلم قريش بوجهتهم.

كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ خرج مهاجرًا إلى المدينة بأهله، فقابله عليه الصلاة والسلام فى الطريق فأرجعه معه، وبعث بعياله إلى المدينة، وبينما جيش المسلمين بمر الظهران، إذ خرج أبو سفيان ومعه آخران يتجسسون الأخبار، لما يتوقعونه من عدم سكوت المسلمين على نقض العهد، فظفرت بهم جنود المسلمين، وكان أول من لقى أبا سفيان العباس بن عبد المطلب، فأخذه معه حتى وصل به إلى خيمة رسول الله ﷺ، فأمنه وسلمه للعباس. فلما أصبح أسلم وشهد شهادة الحق. فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئًا. فقال عليه الصلاة والسلام: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

ثم أمر العباس أن يقف بأبى سفيان حيث يسير الجيش، حتى ينظر إلى المسلمين، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة حتى انتهت، وانطلق أبو سفيان إلى مكة مسرعا، ونادى بأعلى صوته: (يا معشر قريش لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به).

ثم أمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون[1]، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة بمن معه من كدى[2] ودخل ﷺ ومن معه من كداء[3]، ونادى مناديه: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن. واستثنى من ذلك جماعة أهدر دماءهم لشدة ما ألحقوه بالمسلمين من الأذى.

وقد صادف جيش خالد بن الوليد فى دخوله مقاومة من طائشى قريش فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، واستشهد من فرقته اثنان، وأما فرقة رسول الله ﷺ فلم تصادف مقاومة، وقد دخل عليه الصلاة والسلام راكبًا راحلته وهو

(١) جبل بمعلاة مكة.
(٢) جبل بأسفل مكة من جهة اليمن.
(٣) جبل بأعلى مكة.

منحن على الرحل، تواضعًا لله تعالى وشكرًا له عز وجل على هذه النعـمة العظمى، وكان ذلك صـبح يوم الجمـعة لعـشرين خلت من رمضان.

ولقد نصبت له عليه الصلاة والسلام قبة فى الموضع الذى أشار بأن تركز فيه الراية فاسـتراح فى القبة قليلاً، ثم سار وهو يقرأ سورة الفتح، وبجـانبه أبو بكر، حتى دخل البيت، وطاف سبعًا على راحلته، واستلم الحـجر بمحجنه، وكان حول الكعبة أصنام كثـيرة، فكان يطعنهـا بعود فى يده ويقـول: «جاء الحق وزهق الباطل. جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».

وبعد أن أتم رسول الله ﷺ طوافه أمر بالأصنام فأزيلت من حول الكعبة، وطهرت الكعـبة من هذه المعبودات الباطلة، ثم أخذ عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعـبة من حاجبها عثمان بن طلحة الشيبى، ودخلها وكبر من نواحيها ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فـيـه، ثم جـلس فى المسـجـد والناس حـوله ينتظرون مـا هو آمر به فى شـأن قـريش، فقـال عليه الصـلاة والسلام «يا مـعشر قـريش، ما تظنون أنى فـاعل بكم؟» قالوا

خيرًا، أخ كـريم وابن أخ كريم، فقال «اذهبوا فـأنتم الطلقاء»، ورد مفتاح الكعبة لسدنتها، ثم خطب فى الناس خطبة أبان فيها كثيرًا من أحكام الدين، وبعد أن أتمها شرع الناس يبايعونه على الإسلام، فأسلم كثير من قريش.

وممن أسلم فى ذلك الوقت: مـعاوية بن أبى سفـيان وأبو قحـافة والد الصديق وأسلـم بعض من أهدر رسول الله ﷺ دمه فى ذلـك اليوم وبايع فـقبلت بيـعتـه، وبعد أن تمت بيـعة الرجال بايعه النساء.

ثم أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يؤذن على ظهـر الكعبة وكانت هذه أول مرة ظهر فيها الإسلام على ظهر البيت.

وقد أقام رسـول الله ﷺ بمكة بعد فتـحها تسعـة عشر يومًا أرسل فى أثنائهـا خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسًـا. لهدم هيكل (العـزى) وهو أكـبر صـنم لقريش، وأرسـل عمـرو بن العاص لهدم (سواع) وهو أعظم صنم لهذيل، وبعث آخر لهدم (مناة) وهو صنم لخزاعة.

غزوة حنين

بهذا الفتح دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فى دين الله أفواجا، غير أن قبيلتى هوازن وثقيف أخذتهم العزة والأنفة، وتجمعوا لحرب المسلمين فى مكة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج لهم فى اثنى عشر ألف مقاتل. وهو أكثر جند جنده عليه الصلاة والسلام. فلما وصل جيش المسلمين إلى وادى حنين، كان العدو كامنًا فى شعابه فقاموا على المسلمين قومة رجل واحد قبل أن يتمكن المسلمون من تهيئة صفوفهم فانهزمت مقدمة جيش المسلمين، فأمر رسول الله ﷺ عمه العباس أن ينادى فى الجيش بالثبات فاجتمعوا واقتتل الفريقان ولم تمض ساعات حتى انهزم الأعداء هزيمة شديدة، وقد قتل من ثقيف وهوازن نحو سبعون. وغنم المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وإبل.

ثم توجه رسول الله ﷺ إلى ثقيف بالطائف، فحاصرها مدة ولم يفتحها. وبعد رجوعه منها أتاه وهو بالجعرانة وفود

من هوازن، يلتمسون منه رد نسائهم وأبنائهم الذين سباهم المسلمون، فقال عليه الصلاة والسلام: ما كان لى ولبنى عبد المطلب فقد رددته إليكم، فقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فردت إلى هوازن نساؤهم وأبناؤهم.

ثم قام عليه الصلاة والسلام من الجعرانة إلى مكة معتمرا، فأدى العمرة وعادة بعد ذلك إلى المدينة، فوصلها لست بقين من ذى العقدة.

غزوة تبوك

أقام عليه الصلاة والسلام بالمدينة إلى منتصف السنة التاسعة للهجرة، ثم بلغه أن الروم يتجهزون فى تبوك لحربه بعد ما كان بينهم وبين المسلمين فى حادثة «مؤتة»، فتجهز عليه الصلاة والسلام لغزوهم فى ثلاثين ألف مقاتل، وكان المسلمون إذ ذاك فى زمن عسرة وجدب، فلم يعقهم ذلك عن التأهب

لقتال الأعداء، وتصدق أبو بكر لذلك بجميع ماله. وعثمان بن عفان بمال كثير، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل تبوك، فلم يجدهم بها، فأقام هناك بضع عشرة ليلة، ثم قفل إلى المدينة، وهذه آخر غزواته ﷺ .

نتيجة الدعوة من مبدئها إلى انتهاء الغزوات والسرايا

وفى ذلك بيان وفود العرب التى وفدت على النبى ﷺ

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام فى مبدئها سرًا وخفية، والذين دخلوا فى الإسلام إذ ذاك أفراد قليلون، وبعد الجهر بالدعوة أخذ عددهم يزداد قليلاً إلى أن أذن له ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فازداد عددهم بدخول عرب المدينة ومن حولها فى الدين وحدانًا وجماعات، ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تم صلح الحديبية بين قريش والمسلمين، فكان ذلك الصلح سببًا كبيرًا من أسباب نشر

الدعوة وعمومها، حيث أمنت الطرق، وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمم والقبائل، ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعاظم قريش فى الإسلام، وانتشار القرآن بأسلوبه البديع وحكمه البالغة، المؤثرين فى عقول العرب ذلك التأثير الذى لانت به شكيمتهم. وشرعوا يفدون على رسول الله ﷺ، أفواجًا، وقد كان أكثر ذلك فى السنة التاسعة للهجرة.

فمن ذلك وفد (ثقيف)، جاءوا إلى النبى ﷺ عقب مقدمة من «تبوك» يريدون الإسلام وطلبوا أشياء أباها عليهم وأشياء أعطاها لهم، ووفد (نصارى نجران) وهؤلاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية، ووفود (بنى فزارة) قدموا على النبى ﷺ مسلمين.

ووفد (بنى تميم)، جاء إلى النبى ﷺ أشرافهم ونادوه من وراء الحجرات، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم، أسلموا وعادوا إلى أوطانهم.

ووفد (بنى سعد بن بكر) يؤمهم ضمام بن ثعلبة الذى سأل رسول الله ﷺ أسئلة كثيرة وأجابه عنها، فأسلم وعاد إلى قومه فما بقى منهم أحد إلا أسلم من يومه.

ووفد (كندة) فى مقدمته الأشعث بن قيس، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة «الصافات».

ووفد (بنى عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعًا.

ووفد (بنى حنيفة بن ربيعة) فأسلموا، وكان فيهم مسيلمة ابن حنيفة الذى لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الدار الآخرة.

ووفد (طئ من قحطان) يقدمهم زيد الخيل، وقد أسلموا جميعًا.

ووفد (بنى الحارث بن كعب)، فيهم خالد بن الوليد جاءوا مسلمين.

ووفود أخر من قبائل شتى. من (بنى أسد) و(بنى محارب) و(همدان) و(غسان) وغيرهم، ومنهم من جاء مسلمًا ومنهم من جاء للإسلام وأسلم، ورسل من ملوك حمير وغيرهم جاءوا يخبرون بإسلامهم.

وهكذا دخل الناس فى دين الله أفواجًا، حتى بلغ من كانوا مع رسول الله ﷺ ، فى حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة أكثر من مائة ألف، والذين لم يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر من ذلك أضعافًا مضاعفة **﴿والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾**.

حجة الوداع

بعد أن عاد رسول الله ﷺ من تبوك، بعث أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى ذى القعدة إلى مكة، سنة تسع من الهجرة، ليحج بالناس، وفى أواخر ذى القعدة من السنة العاشرة، قام عليه الصلاة والسلام إلى مكة فى جمع عظيم،

وأحرم للحج عندما سارت به راحلته، وقال لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، ولم يزل سائرًا حتى دخل مكة ضحوة يوم الأحد، لأربع خلون من ذى الحجة وكان دخوله من ثنية كداء، فطاف بالبيت سبعًا، واستلم الحجر الأسود، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم، وشرب من ماء زمزم، وسعى بين الصفا والمروة سبعًا، راكبًا على راحلته، وفى الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى فبات بها، وفى التاسع منه توجه إلى عرفة وخطب خطبته المشهورة بخطة الوداع ابتدأها ـ بعد الثناء على الله تعالى ـ بقوله:

«أيها الناس، اسمعوا منى أبين لكم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، فى موقفى هذا»؛ ثم قال «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها».

ثم قال «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم عليهن حقًا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد».

ثم قال «أيها الناس إن ربكم وحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم؛ وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب»، وقد اشتملت هذه الخطبة العظيمة على غير ذلك من أحكام الله تعالى وحدوده.

وقد أنزل الله عليه فى ذلك اليوم قوله سبحانه وتعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾** سور المائدة ٣.

وبعد أن أدى رسول الله ﷺ مناسك الحج: من رمى الجمار والنحر، والحلق، والطواف، أقام بمكة عشرة أيام، ثم قفل إلى المدينة ﷺ.

أوصافه ﷺ وشمائله

كان رسول الله ﷺ : جميل الخلقة، زهرى اللون، يتلألأ وجه تلألأ القمر ليلة البدر، عظيم الرأس عظمًا مناسبًا لبقية أعضائه، شعره بين الجعودة والسبوطة كأنه مشط فتكسر قليلا، لا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا لم يقصره واسع الجبين، أزج الحواجب بدون اقتران، فى وسط أنفه ارتفاع قيل من غير طول فيه، ليس بضيق الفم ولا واسعه، رقيق الأسنان مفلجها، أسبل الخدين غزير شعر اللحية، جميل العنق، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالى الصدر.

وكان معتدل الأعضاء فى سمن معتدل، ليس بمسترخى اللحم طويل الزندين، رحب الراحتين، ممتلئ الكفين والقدمين، متجافى الأخمصين، ليس فى قدميه غضون ولا تشقق.

وكان متوسط القامة، إذا مشى رفع رجليه بنشاط وأوسع فى خطاه ومال إلى سنن المشى رفق ووقار، وكأنما هو فى مشيته ينزل من مكان منحدر، وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وإذا التفت التفت جميعًا، جل نظره الملاحظة يتأخر عن أصحابه فى المشى، ويبدأ من لقيه بالسلام.

وكان منزهًا عن الأقذار والعيوب، معتدل الحركات، حسن الشمائل، مقتصرًا من ضرورات الحياة - كالأكل والنوم - على قدر الحاجة، وكان وافر العقل ذكى اللب. قوى الحواس. فصيح اللسان. بليغ القول، حلميا عفوًا صبورًا على ما يكره،

لا يغضب إلا لله، ولا ينتصر لنفسه ولم يضرب بيده شيئًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله فلم يضرب غلامًا ولا امرأة.

وكان شجاعًا، ذا نجدة وفتوة، لا يهاب أحدًا، ولا يفر حيث تفر الأبطال، وكان جوادً كريمًا سمحًا سخيًا.

وكان أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء، لا يشافه أحدًا ما يعكره. فلم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا بالأسواق، ولا عيابًا لا يجزئ بالسيئة سيئة بل يعفو ويصفح.

وكان حسن العشرة، كامل الأدب، واسع الخلق، دائم البشر، لين الجانب رءوفًا رحيمًا، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد بشره، يتواضع فى غير منقصة ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبهم، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها. أو بميسور من القول،

قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده فى الحق سواء.

وكان يجيب من دعاه ولو عبدًا أو أمة، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها.

وكان يخالط أصحابه ويحادثهم ويعود مرضاهم ويمازحهم أحيانًا ولا يقول إلا حقًا، وكان من خلقه الوفاء، وحسن العهد، والعدل، والأمانة والعفة، والصدق والمروءة.

وكان فى أعظم حالات الوقار والتؤدة، وحسن السمت.

وكان فى خوف ربه وطاعته له عز وجل، وإخلاصه فى عبادته بالدرجة التى ليس بعدها غاية . ﷺ .

مرض رسول الله ﷺ ووفاته

فى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة مرض النبى ﷺ بالحمى، واستمر ثلاثة عشر يومًا ينتقل فى بيوت

أزواجه، ولما اشـتد عليه مرضـه استأذن منهن أن يتـمرض فى بيت عائشة، فأذنّ له، ولما تعـذر عليه الخروج إلى الصلاة قال «مروا أبا بكر فليـصل بالناس» ولما رأى الأنصار اشتـداد مرضه أطافوا بالمسجد قلقين، فخرج عليـه الصلاة والسلام. معصوب الرأس، يخط برجليـه متـوكئـا على علىّ والفضل يـتقدمـهم العباس، حتى جلس فى أسفـل مرقاة المنبر، وأحاط به الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال «أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من مـوت نبيكم، هل خلد نبـى قبلى فـيمن بعث الله فـأخلد فـيكم؟ ألا إنى لاحق بهم وإنكم لاحـقـون بى، فـأوصـيكم بالمهاجرين الأولين خيرًا، وأوصى المهاجرين فيما بينهم» إلى أن قال: «ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقـون بى، ألا فإن موعدكم الحوض؛ ألا فمن أحب أن يرده على غـدًا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغى».

وبينما المسلمـون فى صلاة الفجر يوم الاثنين ثالـث عشر ربيع الأول، وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يصلى بهم، إذ برسول

الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة وتبسم، فظن أبو بكر أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة، فتقهقر إلى الصف، وكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، ثم حضرته الوفاة ورأسه الشريف على فخذ عائشة - رضى الله عنها - فقال «اللهم الرفيق الأعلى» ولم تأت ضحوة ذلك اليوم حتى فارق رسول الله ﷺ هذه الحياة الدنيا ولحق بربه عز وجل.

ولم يكن أبو بكر - رضى الله عنه - موجودًا فى ذلك الوقت بالقرب من منزل عائشة، فلما حضر وأخبر الخبر ودخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله ﷺ، جعل يقبله ويبكى ويقول: صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا، ثم خرج إلى الناس، وقال ألا إن من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت.

ثم مكث عليه الصلاة والسلام فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه، وليلة الأربعاء، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم وتفرغوا لغسل رسول الله ﷺ ودفنه، فغسله عليّ بن أبى طالب بمساعدة العباس وابنيه الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، ثم كفن فى ثلاثة أثواب، ليس فيه قميص ولا عمامة، ووضع على سريره فى بيته فدخل الناس يصلون عليه فرادى لا يؤمهم أحد، ثم حفر اللحد فى موضع وفاته من حجرة عائشة ورش بالماء وأنزله فيه على والعباس وولداه الفضل وقثم، وقد رفع قبره الشريف عن الأرض قدر شبر.

وقد بلغ عمره الشريف ثلاثًا وستين سنة، مكث فيها بمكة ثلاثا وخمسين سنة، والمدينة المنورة عشر سنين، ﷺ .

بحمد الله تعالى تم كتاب (ملخص السيرة النبوية)

فهرس

تم الكتاب بحمد الله

عنيت بطبعه ونشره
مكتبة القاهرة
الرئيسى: ١٢ ش الصنادقية الأزهر
الفرع: ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٥٩٠٥٩٠٩
ص.ب ٩٤٦ العتبة
القاهرة
رقم الإيداع ١٧٢٥٤ / ٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-5437-57-1